إهداء
إلى من لهما الفضل بعد الله
في هذا العمل
عفاف

التيسير في التفسير

تأليف الإمام

أبي حفص النسفي

نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي

٤٦١ - ٥٣٧ هـ

يطبع أول مرة محققاً على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

ماهر أديب حبوش

المجلد الأول

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم

التيسير
في
التفسير

(١)

حُقُوق الطّبْع محفُوظَة

الطبعَة الأولى
١٤٤٠هـ-٢٠١٩م

يُمنع طباعةُ هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويرُه ورقياً أو إلكترونياً
إلا بإذن خطي من الدار الناشرة
تحت المُساءلة الدُّنيوية والأُخروية

دار اللباب
للدراسات وتحقيق التراث

DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00905454729850
00902125255551
info@allobab.com

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الكريمِ المنَّان، ذي الفضل والإحسان، والسَّطوة والسلطان، والصلاةُ والسلام على عبدِه ورسولِه المُختار، الذي أقامَ الشَّريعةَ وراغَمَ الكفَّار، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصَحْبِه، الذين آمَنُوا به وتمسَّكوا بحَبْلِه، صلاةً تُشرَحُ بها القُلوب، ويَتيسَّرُ بها كلُّ مطلوب.

وبعد:

فإنَّ كتاب الله هو النورُ المُبِيْن، والطَّريقُ القَوِيم، والحقُّ المستَبِين، والصراطُ المستقيم، لا شيءَ أسطعُ من أعلامه، ولا حُكمَ أصدعُ مِن أحكامه، ولا كلامَ أفصحُ مِن بلاغته، ولا قولَ أرجحُ من فصاحته، ولا عملَ في ليلٍ أو نهارٍ ألذُّ مِن تِلاوته، فيه خبرُ مَن قَبْلَنا، ونبأُ مَن بعدَنا، وحُكْمُ ما بينَنا.

أَعجزَ الفصحاءَ، وحيَّر البُلغاء، وأعياهم أنْ يأتوا بسورةٍ مِن مِثْلِه، حتى شهِد بإعجازه الأعداءُ قبل الأصدقاء، وأيقنَ بصدقهِ الجاحدون والملحِدون؛ فإعجازُه وبلاغتُه وحسنُ نظامه يشهدُ للنبيِّ ﷺ بنبوَّته، وبأنه أعظمُ معجزاتهِ، الباقيةِ على طولِ أيام الدهرِ وسنواتهِ.

وقد كان النبيُّ من الأنبياءِ عليهم السلامُ يأتي بالآيةِ وتَنْقَضي بموته، فقَلَّ لذلك مَن يتَّبعه، وكَثُرَ أتْباعُ نبيِّنا ﷺ لكونِ معجزتهِ الكبرى باقيةً بعدَه، فيؤمنُ باللهِ ورسولهِ كثيرٌ ممَّن يسمعُ القرآن على ممرِّ الأزمان.

فلا غَرْوَ أنْ نَهَض العلماءُ منذُ فجرِ الدَّعوةِ مشمِّرِينَ عن ساعِدِ الجِدِّ لشرحه وتفسيرِه، وبيانِ ما غَمضَ من معانيه، وحلِّ ما أَشْكَل على مَن يُعانيه.

ومِن أَجْلِ هذا ظَهَر على مَرِّ التَّاريخِ الإسلاميِّ تصانيفُ لا يَحْصُرُها العَدُّ، اخْتَلَفَتْ أساليبُها لكنَّ غايتَها كانت واحدةً، وهي تفسيرُ كتابِ الله، وإيصالُه إلى أجيالِ الأُمَّة جيلاً إثْرَ جيلٍ، وتفهيمُ الأُمَّةِ معانيَه، وما فيه مِن عِبَرٍ وأمثال، وحِكَمٍ وأحكام، وبلاغةٍ لا تُرام، وخيرٍ عمَّ الأَنام؛ لتُدْرِكَ هذه الأُمَّةُ عَظَمتَه، فتتمَسَّكَ به، وتجتهدَ في اتِّباعِه والعملِ بـمُقْتضاه، ودعوة الخلقِ إليه.

وهذه التصانيفُ كانت متفاوِتةً مِن حيثُ الفائدةُ، وبعضُها يقدَّمُ على بعضٍ، بل قد يكونُ بعضُها أصلاً والآخَرُ فَرْعاً، فإنَّ منها ما يُمْكِنُ أنْ يُعَدَّ فَرْداً في بابِه، وإماماً في محرابِه، وأساساً في موضوعِه، بحيثُ يُمْكِنُ أنْ يُقالَ مَثَلاً: إنَّ ما جاء بَعْدَه ليس كالذي كان قَبْلَه، فيُقالَ مثلاً: إنَّ ما أُلِّفَ قبل «تفسير الطبري» في التَّفسيرِ بالمأثورِ ليس كما أُلِّفَ بَعْدَهُ، وإنَّ ما كُتِبَ في معاني القرآنِ وبلاغته قبلَ «كشَّاف» الزَّمَخْشريِّ ليس كالذي كُتِبَ بعدَه، وإنَّ موضوعَ أحكامِ القرآنِ قبلَ «الجامع لأحكام القرآن» ليس كموضوعِه بَعْدَهُ، وإنَّ كُتبَ إعرابِ القرآنِ قبلَ «بحر» أبي حيَّانَ ليست كالتي أَعقبت «بحره».

وجاء مِن التفاسيرِ بعد تلك الأُمَّهات ما هو تَبَعٌ لها، فهَذَّبَ ونَقَّحَ، وزادَ ورَجَّحَ، وشَرَحَ وصَحَّحَ، ومع أن هذه أيضاً لا تُنْكَر مكانتُها وفضلُها، لكنْ يَبْقَى الفضلُ للسَّابق ولو أجادَ اللَّاحِق.

وكان هناك كثيرٌ من التفاسير التي حَوَت فنونَ التفسير من الآثارِ والأحكامِ والمعاني والإعرابِ واللغة، لكنْ لم يكن فيها ما يجعلها متميِّزةً عن باقي التفاسير.

وهذا التفسيرُ الذي بين أيدينا لا يمكنُ إلا أنْ يعدَّ من تلك الأمَّهات، بل هو كتابٌ فريدٌ في بابه، لم يَنسجْ أحدٌ على مِنواله، جامعٌ للفرائد، زاخرٌ بالفوائد، قد خُطَّ بيدٍ دَرِبة خبيرة، ذاتِ فكرٍ ثاقبِ البصيرة، فمؤلِّفهُ قد فاق أقرانه علماً وفضلاً، وكُتبه في الفقه وغيره معروفةٌ شرقاً وغرباً، كما أنه عالمٌ باللغة والنحو مشهودٌ له بذلك، وهو مع ذلك من المتقدِّمين المعاصرين لأئمةِ التفسير الكبار أمثالِ الزمخشريِّ وابنِ عطية وطبقتهما، فلم ينهلْ من كتبهم، ولا اتَّكأ على أقوالهم، فتفسيرُه لذلك يعدُّ من المراجع الهامَّةِ التي استفاد منها كثيرٌ ممَّن جاء بعده من المفسِّرين وغيرهم، وذلك لِمَا حوَاهُ من العلوم والآثار، وما ضمَّه من النِّكاتِ والأفكار، والتي أكثرُها من إبداعه، لا نقلاً عن غيره كما هو شأنُ الكثير من المفسِّرين الذين يعوِّلون في تفاسيرهم على النقل عمَّن سبَقهم.

وقد سعى فيه المؤلِّف لتحقيقِ أمرين اثنين:

الأول: الارتقاءُ بالإيمان والتقوى، وذلك لكثرةِ ما حواه من المواعظ والحكَم، والتذكيرِ بالله، ونقل عباراتِ العلماءِ العاملين، وأهلِ الزهدِ المخلِصين.

والثاني: الارتقاءُ بالعلم بالقرآن لغةً وإعراباً، وتفسيراً وتأويلاً، مع حشد الأقوال ونقل الآثار، مما تفرَّد بكثير منه هذا التفسير، فما له في الكتب المطبوعة من نظير، وقد سماه:

«التيسير في التفسير»

فكان اسماً على مسمًّى، فهو ميسَّرٌ لمن قرأه، ميسِّرٌ معرفةَ التفسير على مَن طالَعه.

وقد أكرمَني الله سبحانه بتحقيقه بعد مدَّةٍ طويلةٍ من العملِ في كتبِ التفسير

تَنوفُ على خمسةَ عشرَ عاماً، طالعتُ خلالها غالبَ المشهورِ منها والمغمور، فخُضتُ غمارها، وغُصتُ في أعماقها، وعندما بدأت فيه كنتُ أظنه كباقي التفاسير لا يتميَّز عنها بشيء، ولم أكنْ أتوقَّع أنني سأجدُ فيه هذا الكمَّ الهائلَ من الفوائد والنِّكات، والرَّقائق والعِظَات، مع حسنِ الإشارة ومتانةِ العبارة، وسلامةِ الذوق، والذبِّ عن مذهبِ الحقّ.

فالعجَبُ كيف لم تمتدَّ إليه يدُ العناية إلى الآن، وبقي حبيسَ المكتبات يَنتظرُ مَن يمسحُ عنه غبارَ الإهمال، ويكشفُ عن أنواره ظلمةَ النسيان، مع أنه يفوقُ في فوائده كثيراً مما حقِّق وطُبع من كتب التفسير، فكان من فضلِ المولى عليّ أن أُوكلتْ هذه المهمةُ إليّ.

وكما يُقال: التيسيرُ علَامةُ الإذن، فقد يسَّر الله سبحانه لنا سبيل تحقيقه، وتهيَّأ لنا في سبيل ذلك كمٌّ كبيرٌ من النسخ الخطيةِ النَّفيسةِ الكاملة، ما لا يتيسَّر مثلُه في كثيرٍ من الكتب، فقمنا بالمقارنة بينها لانتقاءِ أفضل النسخ وأكثرِها دقةً وأقلِّها تحريفاً، وقد تمَّ لنا هذا المسعى بعون الله، واخترنا ثلاثةً من النسخ الخطية النَّفيسة، فتمَّ نسخ الكتاب ومقابلته من إحداها ثم مقابلتُه على الأخريين.

وقد كان من الصُّعوبات التي واجهتْنا أن الكتابَ لم يُطبع قبل الآن، ولا يوجد له، ولا حواشيَ أو شروح له يمكنُ الاستفادة منها، فكان علينا القيامُ بالمهمة كاملةً، وكانت تلك المهمةُ من الصعوبة بمكان، وذلك لكثرةِ ما فيه من أحاديثَ وآثار وأقوال، تحتاج للتخريج والشرح، وكذا لبيان حالِ المرفوعِ وما في حكمه، هذا مع كونِ أكثرِ الكتاب من إبداعِ المؤلِّف وإنشائه، وحتى ما ينقلُه فإنه يتصرَّف فيه فيزيدُ وينقص ويغيِّر، فلا تكاد تجدُ له في عباراته وأقواله سلَفاً يمكنُ الرجوعُ إليه لتصحيح تحريفٍ أو توضيحِ عبارة.

لكنْ مع كلِّ هذا قد يسَّر لنا سبحانه القيامَ بالمهمة خيرَ قيام، ليخرجَ الكتاب في النهايةِ بأبهى حلةٍ وأحسنِ حال، فنسألُ اللهَ سبحانه القَبول، فإنه خيرُ مأمول.

ومن أجل إتمامِ العملِ على أحسنِ وجه فقد قُمنا بكتابةِ مقدِّمة له تشتمِلُ على فصلين:

الأول: ترجمةُ المؤلف ترجمةً وافيةً بحيث تستوعِبُ كلَّ ما جاء عنه في المصادرِ المتوفرةِ لدينا، مع إعادةِ سبكِها وترتيبها، وقد استقصَيْنا لهذه الغايةِ كلَّ ما كُتب عنه تقريباً مما كان ترجمةً له، أو كان منبثًّا في كتبِ التراجم والأنسابِ وغيرها، الأمرُ الذي استغرَق تعباً وتدقيقاً لا يستهانُ بهما، وبالله التوفيق.

الثاني: كتابةُ مقدمةٍ للكتاب تتضمَّن تأكيد نسبة الكتاب للمؤلِّف، وأهمَّ المراجع التي نهلتْ منه ونهل منها، وطريقةَ مؤلِّفه في تأليفه، وأهمَّ المواضيعِ التي تناولها، هذا مع دراسةٍ مستفيضةٍ لخصائص هذا التفسير وما يميِّزه عن غيره من التفاسير.

وفي الختام نحمدُ الله أولاً وآخِراً على توفيقه وتيسيره، وما أنزل علينا من الرحمات، وامتنَّ به من البركات، في الجهدِ والفهمِ والأوقات.

كما نشكرُه سبحانه أن هيَّأ لهذا العملِ من الأساتذةِ الأخيار مَن بذَلوا غايةَ جهدهم ليرى هذا السِّفرُ العظيمُ النورَ بعد طولِ مكثٍ في غياهب الظلمات:

فنشكر أولاً دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث التي حملتْ على عاتقها تحقيقَه وطبعَه وكلَّ ما يتعلَّق به **متمثِّلةً بمديرِها الأستاذِ أبي عبد الله محمد خلوف العبد الله**، والذي لولاه لَمَا خرجَ هذا الكتابُ إلى النور، فهو الذي استَخرجه من بينِ

آلاف المخطوطات، وبسعيهِ ودأبه تمَّ تأمينُ نسخه الخطيَّة، وبمتابعته لكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ تمَّ بفضلِ اللهِ الانتهاءُ منه على الوجه الأكمل.

كما نشكرُ الأساتذةَ توفيق التكلة، وفادي السيد، وخالد شمسو، وهادي الهندي، وخالد محمد ياسين علوان، الذين عملوا في نسخهِ ومقابلتهِ وإخراجه، وبذلوا لذلك جهوداً هائلةً لضمانِ الدقَّة والصِّحة وسلامةِ النصِّ. ونخص بالذكر الأستاذ **خالد محمد ياسين علوان** الذي بذل جهداً كبيراً في إتقان إخراج هذا الكتاب فنيًّا.

والشكرُ موصولٌ للإخوة الذين **ساعدوا في تحقيقِه**، وهم الأساتذةُ: **فادي المغربي، ومحمد سارية عجلوني، وجمال عبد الرحيم فارس**.

فنسألُ الله الرضا والقبول لنا جميعاً، وأن يوفِّقنا لخدمةِ كتابه العظيم، فهو أعظمُ عمل للمؤمن، وأكرمُه عند الله، وأرجاهُ للقَبول.

وكتبه

ماهر أديب حبوش

٢٠١٩/٥/٢٦

***

الفصل الأول

ترجمة الإمام النسفي[1]

١ ـ اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

في مدينة «نَسَف» وفي أحد أيام سنةِ إحدى أو اثْنَتَين وسِتِّين وأربعِ مئةٍ كان سُطوعُ نجمِ الإمام نجم الدين شيخ زمانه، وعالمِ عصره وأوانه، ونَسَف بلدةٌ بين جَيحون وسمرقندَ وتسمَّى أيضاً: نخشب.

---

(١) تنظر ترجمته في «التحبير في المعجم الكبير» للسمعاني (١/ ٥٢٧)، و«معجم الأدباء» لياقوت الحموي (٥/ ٢٠٩٨)، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (٥/ ٩٨)، و«العبر في خبر من غبر» للذهبي (٤/ ١٠٢)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ١٢٦)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم (١٠/ ٤٣٤٢)، و«مرآة الجنان» لليافعي (٣/ ٢٦٨)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» للقرشي (١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥)، و«لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٣٢٧)، و«تاج التراجم» لابن قطلوبغا (ص: ٢٢٠)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص: ٨٨)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/ ٥ ـ ٧)، و«طبقات المفسرين» للأدنه وي (ص: ١٧١)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦/ ١٨٩)، و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية» للكنوي (ص: ١٤٩)، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٤٧، ٢٩٦، ٤١٥، ٤١٨، ٥١٩، ٥٥٣، ٥٦٤، ٦٠٢، ٦٦٨، ٧٠٦، ٧٥٦)، و(٢/ ١١١٤، ١١٢٥، ١١٤٥، ١٢٣٠، ١٣٥٦، ١٦٠٢، ١٦٨٦، ١٧٣١، ١٨٦٧، ١٨٦٨، ١٨٧١، ١٩٢٩، ٢٠٢٧، ٢٠٤٨، ٢٠٥٤)، و«سلم الوصول إلى طبقات الفحول» لحاجي خليفة (٢/ ٤٢١)، و«هدية العارفين» للبغدادي (١/ ٧٨٣)، و«مفتاح السعادة ومصباح السيادة» لطاش كبري زاده (١/ ١٢٣ ـ ١٢٤)، و«فهرس الفهارس» لعبد الحي الكتاني (١/ ٢١٥)، و«نثل النبال» للحويني (٢/ ٥٨٩)، و«الأعلام» للزركلي (٥/ ٦٠).

وهو عمرُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ إسماعيلَ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ لُقْمانَ، النَّسَفيُّ ثم السمرقنديُّ، وهو مصنِّفُ تاريخِها الملقَّبِ بـ«القَنْد»، الإمامُ الزَّاهد نجمُ الدِّين أبو حَفْص.

أما نشأتُه فلم يَرِدْنا الكثيرُ عنها، لكن الذي يظهرُ من تلامذته ومشايخه ومكانتهم العالية أنه كان في مجتمعٍ يَزخرُ بالعلمِ والعلماء، وأنه قد تفاعَل مع هذا المجتمعِ منذ حداثةِ سنِّه، يدلُّ على ذلك مثلاً أنه قد رُوي عنه «أصول البزدوي» لفخرِ الإسلام البَزْدَوِيِّ كما سيأتي، وفخرُ الإسلام تُوفي سنة (٤٨٢هـ)، وكان من شيوخه أيضاً إسماعيل بن إبراهيم بن محمد أبو محمدٍ النُّوحيُّ المتوفى سنة (٤٨١هـ)، وكان العلامةُ صاحبُ الترجمة أيامَ موت هذين الإمامين في حوالي العشرين من عمره، ما يدلُّ على أن طلبه للعلم كان قبل ذلك بكثير، ولا شكَّ أن مَن بلغ شأوَه وصنَّف تصانيفَه لا بد وأن يكون قد طلَب العلم وهو صغير حدثُ السن.

وقد رحل الإمامُ النسفيُّ لأداء فريضةِ الحج، فمرَّ ببغدادَ وأخذ عن بعض علمائها، وحدَّث فيها عن شيوخه، قال ابن النجَّار: قدِم بغدادَ حاجًّا في سنة سبعٍ وخمس مئة، وسمع من أبي القاسم بنِ بَيَانٍ وغيره، وحدَّث بكتاب «تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار» من جمعه وتأليفه، روى فيه عن عامة مشايخه.

٢ ـ علمه وثناء العلماء عليه:

هو عالمُ عصره، وفقيهُ زمانه، الذي ملأتْ تصانيفه طباقَ الأرض، وقد بلغتْ ما يقاربُ المئة في فنونٍ وألوانٍ شتَّى، من التفسير والفقه واللغة وغيرها، ويكفيكَ دلالةً على علمه ومكانته أنه تتلمذَ على يدِ كبار علماءِ عصره كفخر الإسلام البَزْدويِّ صاحب الأصول المشهورة، وأخيهِ العلَّامةِ أبي اليُسرِ البَزْدَويِّ، كما تتلمذ على يده

كبارُ العلماء الذين عمَّ صيتُهم الآفاق، وشغلت كتبُهم الناس، ومنهم العَلَّامة المُحَقق شيخ الإسلام عليُّ بن أبي بكر بن عبد الجَلِيل الفرغاني صاحب «الهدَايَة»، بل إنه كان أجلَّ مشايخه حيث صدَّر «مشيخته» التي جمعهَا لنَفسِهِ بِذكرِ الإمام نجم الدين، وذكرِ ابنِه أبي اللَّيْث أحمدَ بنِ عمر بعدَه، وقال: **سمعتُ نجم الدِّين عمر يَقُول: أَنا أروي الحَدِيث عَن خمس مئَة وَخمسين شَيخاً.**

وقد أثنى عليه كلُّ مَن عاصره أو جاء بعده، ولم يذكر فيه أحدٌ شيئاً سوى ما قاله السمعانيُّ من أنه لم يكن من أهلِ الحديث، وله فيه أوهامٌ وأخطاءٌ، وسيأتي كلامُ السمعاني، وسوف يأتي في هذه المقدِّمة إشارةٌ لهذا عند ذكر طريقته في إيراد الأحاديث.

أمَّا ثناءُ العلماء عليه فممَّا لا يُحصى، وسنسوقُ طرفاً منه لبيانِ مكانته في زمانه وبينَ علماء عصره، ومدْحِهم له في علمه وزُهده ودِينه، وحُسنِ جمعِه وتصنيفه، ونبدأ بقول السمعاني، فقد كان معاصراً له وإن لم يلقه:

قال السمعاني: إمامٌ فقيهٌ فاضل، عارف بالمذهب والأدب، صنَّف التصانيف في الفقه والحديث، ونظَم «الجامع الصغير» وجعله شعراً، وأما مجموعاتُه في الحديث فطالعتُ منها الكثير وتصفَّحتها، فرأيتُ فيها من الخطأ وتغييرِ الأسماء وإسقاطِ بعضها شيئاً كثيراً وأوهاماً غيرَ محصورة، ولكنْ كان مرزوقاً في الجمع والتصنيف، كتب إليَّ الإجازةَ بجميع مسموعاته ومجموعاته، ولم أُدركه بسمرقندَ حيًّا، وحدَّثني عنه جماعة، وإنما ذكرتُه في هذا المجموع لكثرة تصانيفه، وشيوع ذكره، وإن لم يكن إسنادُه عالياً، وكان ممن أحبَّ الحديثَ وطلبه، ولم يُرزق فهمه، وكان له شعرٌ حسنٌ مطبوعٌ على طريقة الفقهاء والحكماء.

وذكره ابن النجار فقال: كان فقيهاً فاضلاً مفسِّراً محدِّثاً أديباً متفنِّناً، وقد صنَّف كتباً في التفسير والحديث والشروط.

وقال الأدنَهْ وي: كان إماماً فاضلاً أصوليًّا متكلِّماً مفسِّراً محدِّثاً فقيهاً حافظاً نَحْويًّا لُغَويًّا ذكيًّا فَطِناً، أحدَ الأئمَّة الأربعة المشهورين بالحظِّ الوافر من العلوم والقَبُول التَّامِّ عند الخاصِّ والعامّ، وكان أستاذاً نشَر العلوم إملاءً وتذكيراً.

وقال اللَّكْنوي: كان إمامًا فاضلًا أصوليًّا متكلِّماً مفسِّرًا محدِّثاً فقيهاً حافظاً نحويًّا، أحدَ الأئمة المشهورين بالحفظ الوافر والقبولِ التامِّ عند الخواصِّ والعوامّ، وقيل: إنه كان يعلِّم الإنس والجن، ولذلك قيل له: مفتي الثقلين، كذا قال القاري.

وقال المرغِينانيُّ: إمامُ الأئمَّة ومقتدَى الأمَّة[1].

وقال ابن عابدين: مفتي الإنس والجن، رأسُ الأولياء في عصره[2].

وقال الكشميريُّ: واعلَمْ أن الشيخَ نجمَ الدين عُمرَ النَّسفيَّ قد أَلَّفَ كتابًا في الوَقْف، فلمَّا رأيتُه تحيَّرتُ من كمال فصاحته وبلاغته، وهذا «النَّسفي» مقدَّم على صاحب «الكنز» ومُحَدِّثٌ فقيه، ومؤرِّخٌ كبير، صنَّف «تاريخ سمرقند» في اثنين وعشرين مجلدًا[3].

٣ ـ لقاؤه مع الزمخشري:

وأمَّا لقاؤه مع الزمخشري، فقد ذكر فيه القرشيُّ قصةً طريفةً، وهي أنه أرادَ أن يزور جَار الله العلَّامةَ الزَّمَخْشَرِيَّ في مكَّة، فلمَّا وصل إلى داره دقَّ الباب ليفتحوه

---

(١) انظر: «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي» (١/ ٤).

(٢) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٤/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «فيض الباري على صحيح البخاري» للكشميري (٤/ ١١٠).

ويأذنوا له بالدُّخولِ، فقال الشَّيخ: مَن ذا الذي يدقُّ الباب؟ فقال: عمر، فقال جَار الله: انْصَرِفْ، فقال نجم الدِّين: يَا سَيِّدي عمر لا ينْصَرف، فقال الشَّيخ: إِذا نكِّر ينْصَرف.

كذا وقعت القصةُ، ولم أجدْ مَن زاد عليها، وليس فيها أيُّ شيءٍ عن لقائهما، وإن كان قد تمَّ أم لا، لكنَّ الظاهر أن اللقاء قد حصَل؛ لأنه مِن غيرِ المعقول أن يصل إلى بابه ولا يلتقي به، ويبدو أن تلك كانت دعابةً من الزمخشريِّ، وكان يَعلمُ بالجواب مسبقاً، ولعل معرفةً جمعَتْهُما قبلَ ذلك، أو أنَّ الزمخشري سمع بهذا العلَّامة وعرف أنه في الحج معه وأنه سوف يَقدمُ لزيارته، واللهُ أعلم.

٤ ـ شيوخه:

لقد نهلَ العلَّامة نجم الدِّين من كبار علماء عصره، والمقدَّمين في ناحيته ومصره، فتشرَّب زبدةَ العلوم، ونهل من خُلاصة أهل العقول والفهوم، وكانوا في كثرةِ عددهم كما هم في سعةِ علومهم، وكثيرٌ منهم ممن ذاعَ صيتُه، وانتشرت في الأنام علومُه.

قال صاحب «الهداية»: سَمِعتُ نجمَ الدِّين عمرَ يقول: أنا أروي الحديث عن خمس مئةٍ وخمسين شيخاً، قال: وقد جمع أسماءَ مشايخه في كتاب سَمَّاهُ «تعداد الشُّيُوخ لعمر مستطرفٌ على الحروف مستَطَر» رحمه الله تعالى.

ومِن أجلِّ شيوخه:

١ ـ **عليُّ بنُ محمدِ بنِ الحُسَين بنِ عبد الكريم بنِ مُوسى بن عِيسى بن مجاهدٍ، أبو الحسن، المعروفُ بفَخْر الإسلام البَزْدَوِيِّ**، الفقيهُ الإمامُ الكبير بما وراءَ النَّهر، أخو القاضِي محمدٍ أبي اليُسْر. توفِّي في رجب سنة (٤٨٢ هـ)، ومن تصانيفه «المَبْسُوط»، و«شرح الجامع الكبير والجامع الصَّغير» وله في أصول الفقه كتاب كبير مشهور ومفيد، رحمه الله تعالى.

وهذا الإمام لم أجدْ مَن ذكَره في شيوخ الإمام نجم الدين، سوى تلك الإشارةِ إلى أخذِه العلمَ عنه في كلام علَمين شرَحا «أصوله»، وهما:

الحسينُ بنُ عليِّ بنِ حجَّاجِ بن عليٍّ، حسامُ الدِّين السِّغْنَاقيُّ (ت٧١١ هـ)، قال في مقدمة «شرح أصول البزدوي»: وقد بلغَتْني روايةُ هذا الكتاب بالإسنادين المذكورين في «النهاية في شرح الهداية» مع زيادةِ أنَّ صاحب «الهداية» يرويه عن الشيخ الإمام الزاهد الحافظ نجم الدين أبي حفصٍ عمرَ بنِ محمدِ بن أحمدَ بنِ إسماعيلَ النسفيِّ، وهو عن المصنف رحمهم الله[1].

وعبدُ العزيز بنُ أحمدَ بنِ محمد، علاءُ الدِّين البخاريُّ (ت٧٣٠هـ)، قال في مقدمة شرحه أيضا: (حدَّثني بهذا الكتابِ شيخي وأستاذي وعمي الذي تقدَّم ذكره آنفاً قراءةً عليه بسرخسَ في المدرسة الملكية العباسية...) فذكر إسناده شيخاً عن شيخ إلى أن قال: (حدثنا شيخُ شيوخِ الإسلام برهانُ الدِّين عليُّ بنُ أبي بكر بن عبد الجليل الرِّشْدانيُّ (وهو نفسُه صاحب الهداية) قال: حدَّثنا إمامُ الأئمة ومقتدَى الأمة نجمُ الدِّين أبو حفصٍ عمر بن أحمد النسفيُّ عن الشيخ الإمام المصنف قدَّس الله أرواحَهم)[2].

ففي كلام هذين العلَمين ما يدلُّ على أن الإمامَ نجمَ الدِّين قد تتلمذَ على فخرِ الإسلام وأخذ العلم عنه، بل كما هو واضحٌ من كلاميهما أنه روى كتاب «أصول البزدوي» المشهور عن مؤلِّفه البزدويِّ مباشرةً دون واسطةٍ بينهما.

٢ ـ محمد بن محمد بن الحسين أخو فخر الإسلام، العلَّامة أبو اليسر البزدويُّ

---

(١) انظر: «الكافي شرح البزدوي» للسغناقي (١/ ١٨٣ ـ ١٣٩).

(٢) انظر: «كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي» لعلاء الدين البخاري (١/ ١٠).

النَّسَفيّ، شيخ الحنفيَّة بما وراء النهر، وكان قاضيَ قضاة سَمَرْقَنْدَ، وكان يدرِّس في الدَّار الجُوزجانيَّة ويُمْلي فيها الحديث. تُوُفّي ببخارى (٤٩٣ هـ).

قَالَ السّمعانيّ: عُرف بالقاضي الصدر، وُلِد سنة إحدى وعشرين وأربع مئة.

وهو من شيوخ المؤلف كما ذكر العلماء، منهم صاحب «الجواهر المضية»، والداودي في «طبقات المفسرين».

وقال اللَّكنوي: أخذ الفقه عن صدر الإسلام أبي اليسر محمد البَزْدويِّ، عن أبي يعقوبَ يوسفَ السَّيَّاريِّ، عن أبي إسحاقَ الحاكمِ النَّوْقَدي، عن الـهِنْدُوانيِّ، عن أبي بكرٍ الأعمش وأبي بكرٍ الإسكاف وأبي القاسم الصَّفَّار.

والأعمشُ عن أبي بكرٍ الإسكافِ عن محمد بن سلمة عن أبي سليمان الجوزجاني عن محمد بن الحسن.

والصفَّار عن نصيرِ بن يحيى عن محمد بن سَمَاعة عن أبي يوسف[1].

وجاء في ترجمة أبي اليسر في «الجواهر المضية»: قال عمر بن محمد النَّسَفيُّ في كتاب «القَنْد»: وكان شيخَ أصحابنا بما وراءَ النَّهر، وكان إمامَ الأئمَّة على الإطلاق، والوفودُ إليه من الآفاق، ملأ المشرق والمغرب بتصانيفه في الأصول والفروع[2].

٣ ـ إسماعيلُ بن إبراهيم بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ نوحِ بنِ زيدِ بنِ نعمانَ بنِ عبدِ الله بنِ الحسنِ بنِ زيدِ بن نوحٍ، أبو محمدٍ النُّوحيُّ[3] النَّسَفيُّ الإمامُ الخطيب

---

(١) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٢٧٠).

(٣) نسبة إلى جده نوح المذكور، وقد تحرفت في بعض المصادر إلى: التنوخي.

من أهل نَسَف، ولد بسمرقند سنة (٤٢٣هـ) سمع أبا العبَّاس جعفر بن محمد المستغفريَّ، ذكره السَّمْعانيُّ وقال: كتَب الحديث بسمرقند.

روى عنه الإمام نجم الدِّين، له ذكر في «طِلْبةِ الطَّلَبَة» توفِّي سنة (٤٨١هـ)[١].

قلت: وله ذكرٌ وروايةٌ في هذا «التفسير»، فقد جاء فيه في شرح البسملة: (قال الشيخ نجم الدين رضي الله عنه: وكان شيخُنا الإمامُ الأستاذُ الخطيبُ أبو محمد إسماعيلُ بنُ محمد النوحيُّ النسفيُّ ـ رحمهُ اللهُ ورضيَ عنه ـ روَى لنا عن بعضِ أولادِ عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ اللهَ تعالى لمَّا خلقَ القلمَ قال له: اكتُب بسمِ اللهِ الرَّحمن الرَّحيم...).

٤ ـ **أحمد بن عبد الله بن يُوسُف بن الفضل الصِّبْغي** الإمامُ من أهل سَمَرْقَنْد، سمع يُوسُف بن يحيى البَلْخيَّ، سمع منه الحافظ أبو حَفْصٍ النَّسَفِيُّ وغيرُه، كان إمامًا فَقِيهًا فاضلاً، ورد بغداد حاجًّا، وكان مُفِيداً في الدَّار الجُوزجانية بسمرقندَ، ذكره السَّمْعَانيُّ في «ذيله» وقال: سَمِعت أبا بكر الزُّهْرِيَّ بسمرقند: سمعتُ أبا حفصٍ يقول: توفِّي الإمام أحمد الصِّبْغيُّ يوم الخميس الثَّامِن من شهر رَجَب الفرد سنة سِتٍّ وعشرين وخمس مئة، وقد زَاد على سبعين سنة.

والصِّبْغي بكسر الصَّاد المُهمَلة وسكونِ الباء الموحَّدة وفي آخرها غينٌ معجمة نسبةً إلى الصِّبْغ، والصِّبَاغ هو ما تُصبغ به الألوان، قاله السَّمْعَانِيّ[٢].

٥ ـ **عمرُ بن محمدِ بن عمرَ بن أحمدَ بن خُشْنام الخُشْناميُّ البُخَاريُّ**، قال السَّمْعانيُّ: كان فقيهاً فاضلاً مُناظراً أديباً سمع أبا بكرٍ محمدَ بنَ عليِّ بنِ حيدرةَ

---

(١) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٥/ ٥٣١)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٣/ ٥١)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٧٣).

الجَعْفَريَّ البُخاريَّ، سمع منه أبو حفص النَّسَفِيُّ، وتُوفِّي ببخارَى في ذي القعدة سنة اثنتينِ وعشرين وخمس مئة[1].

٦ ـ **أبو الفضائل عبد القادر بن عبد الخالق بن عبد الرحمن بن كاسم بن الفضل بن عبد الرحيم بن الحسن بن الربيع النَّوْقَديُّ**، من أهل نَوْقَدِ قريشٍ، كان إماماً فاضلاً، سمع ببُخارى السيدَ أبا بكر محمدَ بن عليٍّ بن حيدرةَ الجعفريَّ، وبمكة أبا عبد الله الحسين بن عليٍّ الطبريَّ وغيرهما، سمع منه أبو حفص عمر النسفي، وكانت ولادته سنة خمسين وأربع مئة[2].

٧ ـ **الإمام أبو محمدٍ عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الرحيم العصَّارُ البَنْدِيمشيُّ**، روَى عنه أبو حفصٍ عمر النسفيُّ، وتوفي في شعبان سنة (٥٢٤هـ)[3].

٨ ـ **أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد البِنْكَتِيُّ**، كان فقيهاً صالحاً، حجَّ بيت الله تعالى، وسمع بمكة أبا محمد عبد الملك بن محمد بن عبيد الله الزبيديَّ المقرئَ، سمع منه أبو حفصٍ عمر النسفي الحافظ[4].

٩ ـ **أبو حامد أحمدُ بنُ حمزةَ بنِ محمدِ بن إسحاق بن أحمد المطوِّعيُّ الرُّوذباريُّ التُّوذِيجيُّ**، سكَن سمرقند، حدَّث عن أبيه حمزةَ بن محمد التُّوذِيجي، روى عنه أبو حفصٍ عمر بن محمد النسفيُّ الحافظ، وأبو بكرٍ محمدُ بنُ محمد بن عليٍّ الزهري وغيرهما[5].

---

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٧).

(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٣/ ٢٠٧).

(٣) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٣٩).

(٤) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٢/ ٣٤١).

(٥) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣/ ١٠٥).

١٠ ـ **أبو جعفر محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن أحمد الجُرْجُساريُّ البلخيُّ**، يروي عن أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد الشومانِّي، سمع منه أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي، قال: كَتب عني أيضا[١].

١١ ـ **أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى بن يونس الجِكِليُّ الخطيب**، كان خطيبَ سمرقند أيام قدرخان، يروي عن أبي القاسم عبيد الله بن عمر الكُشَاني الخطيب، روى عنه أبو حفص عمر النسفي، وتوفي بسمرقندَ سنة ستَّ عشرةَ وخمسِ مئة[٢].

١٢ ـ **أبو المؤيَّد ميمونُ بن أبي العلاء أحمد بن الحسن الحاتميُّ النَّسفي**، كان قاضيَ نسف مدةً مديدة، سمع جدَّه أبا عليٍّ الحسنَ بنَ عديٍّ الحاتمي، روى عنه أبو حفص عمر النسفي، ولد سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة، وتوفي بنسف سنة ثلاث عشرة وخمس مئة[٣].

١٢ ـ **أبو سعد محمد بن الحسن بن عليِّ بنِ المكيِّ بن عبد الله بن إسرافيل بن حماد الحَمَّاديُّ النَّخشبيُّ**، يروي عن أبيه وأبي نصر محمد بن يعقوب السَّلامي، روى عنه أبو حفص عمر بن محمد النسفيُّ، ولد سنة أربع وعشرين وأربع مئة، وتوفي بنسف بعد سنةِ أربعٍ وتسعين وأربع مئة[٤].

١٣ ـ **أبو بكرٍ محمدُ بن أبي بكر بن عبد الرحمن الخاوُصي الخطيب**، حدَّث

---

(١) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣/ ١٧٣).

(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣/ ٢٩٩).

(٣) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤/ ٣).

(٤) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤/ ٢٢٦).

بسمرقند، يروي عن أبي الحسن علي بن سعيد المطهِّري، روى عنه أبو حفصٍ عمر بن محمد النسفيُّ[1].

وغير هؤلاء كثير ممن ذكرهم السمعاني في كتابه، فنكتفي بهؤلاء لعدم الإطالة.

وممن سمع منهم النسفيُّ أيضاً وأخذ العلم عنهم: أبو علي الحسن بن عبد الملك الماتُريديُّ، وأبو محمد عبدُالله بن أحمدَ القَنْطَريُّ، وأبو عبد الله التُّورِبشتيُّ بن عبد الملك القاضي، وأبو طاهرٍ المهديُّ بنُ محمد بن المهديِّ بنِ إسحاق العلوي، وأبو محمدٍ عبدُ الله بنُ عليِّ بنِ عيسى النسفيُّ، وأبو القاسم محمدُ بن محمد بن الحسين النسفيُّ، وأبو عبد الله الحسين بن أبي الحسن الكاشْغَريُّ، وأبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسن بنِ منصور النسفيُّ، وأبو نصرٍ أحمد بن عبد الرحمن الرِّيغْدَمونيُّ، وأبو محمد الحسن بن أحمد السمرقنديُّ، وأبو حَفْصٍ عمر بن أحمد بن محمد الدَّيْزَكيُّ، وأبو الحسن عليُّ بن الحسن الماتُريدي[2].

٤ ـ تلامذته:

لا شكَّ أنَّ مَن كان مثلَ هذا الإمام في علمه وزهده فسيقصدُه الناس من شتَّى البقاع ليَنهلُوا من مَعين علمه، وخصوصاً في مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله حيث كان سنداً فيه. ونذكر من أجلِّ تلامذته:

١ ـ **ابنه أحمد بن عمر، أبو اللَّيث، يعرف بالمَجْد**، قال السَّمْعانيُّ في «ذيله»: سَأَلته عَن مولده فقال: ولدتُ في سنة سبعٍ وخمسِ مئة، تفقَّه على والده الإمام نجم الدِّين عمر النَّسَفِيِّ وغيره، أسمعهُ أبوهُ من جماعةٍ من السمرقنديين والغرباءِ

---

(١) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٥/ ٣٣).

(٢) انظر: «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (٥/ ٩٨)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ١٢٦)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٤).

الواردين عليهم بسمرقند، وكان قد سمع من أبيه كثيراً غيرَ أنه لم يكن له عنايةٌ بالحديثِ مثلَ والده، وكان فقيهاً فاضلاً واعظاً كاملاً حسنَ الصَّمتِ وَصُولاً للأصدقاء، وفي صفر سنة اثنتين وخمسين خرج من بغداد مُتَوَجِّها إلى وطنه بعد عودته من الحج، فلمَّا وصل إلى قُومسَ وجاوَزَ بسطامَ خرج جماعة من أهل القلاع وقَطعُوا الطَّريق على القافلة وقتلوا مقتلةً عظيمة من العلماء والقافلين من الحجاز أكثر من سبعين نفساً، وكانَ فيهم المجد النَّسَفِيُّ رحمه الله، وذلك يوم الإثنينِ السَّابع والعشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة بقرب كوف من نواحي بسطام[1].

٢ ـ **عليُّ بن أبي بكر بنِ عبد الجليل الفَرْغانيُّ المرغِينانيُّ صاحب «الهداية»**، كان إماماً فقيهاً حافظاً محدِّثاً مفسِّراً جامعاً للعلوم ضابطاً للفنون متقِناً محقِّقاً ناظراً مدقِّقاً زاهداً ورعاً بارعاً فاضلاً ماهراً أصوليًّا أديباً شاعراً لم ترَ العيون مثلَه في العلم والأدب، وله اليدُ الباسطةُ في الخلاف، والباعُ الممتدُّ في المذهب، تفقَّه على الأئمة المشهورين، منهم مفتي الثَّقلين نجم الدين أبو حفص عمر النسفي، وقد صدَّر المرغينانيُّ مشيختَه التي جمعَها بذكره ثم ذكَر بعده ابنَه أبا الليث أحمد بن عمر النسفي، قال: وقرأتُ عليه بعض تصانيفه وسمعتُ منه كتاب «المسندات» للخصَّاف بقراءة الشَّيخ الإمام ظهير الدِّين مُحَمَّد بن عُثْمَان[2].

وهذه إجازة العلَّامة نجم الدين للمرغيناني في رواية «صحيح البخاري» بسنده إلى الكُشْمِيهَني والكُشَاني: قال الكَرْدَري: أخبرنا شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل بن الخليل بن أبي بكر بن عليٍّ الفرغانيُّ المرغيناني صاحب

---

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٨٦).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٨٣).

كتاب «الهداية» إجازة عامة إن لم تكن خاصة، في صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة قال: أخبرنا الإمام أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن لقمان النسفي ـ رحمه الله ـ إجازة عامة إن لم تكن خاصة، قال: أخبرنا بكتاب «صحاح البخاري» الإمام الحافظ أبو محمد الحسن بن أحمد القاسمي الكوخميثني قال: أخبرنا الإمام الحافظ أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفِريُّ النسفي، قال: أخبرنا أبو الهيثم محمد بن المكي الكشميهني والشيخ أبو علي إسماعيل بن محمد بن أحمد بن حاجب الكُشَاني[1].

٣ ـ **محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن الدلقمانيِّ**، أبو عبد الله الفَقِيه من أهل سَمَرْقَنْد، ذكره ابن النجار وقال: قدم بغداد حاجًّا في سنة سِتٍّ وسبعين وخمسِ مئة، وأملى بها الحديث عن عمر بن محمد النَّسَفِيِّ[2].

٤ ـ **الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن موسى بن عيسى بن مأمون الكَشِّيُّ الحنفي**، كان فقيهًا مناظرًا لزم الشيخ نجم الدين عمر النسفي وأخذ عنه، وارتفع شأنه وأقر له أقرانه بالفضل والكمال، وله كتاب «مجموع الحوادث والنوازل والواقعات» وهو كتاب نفيس مشتمل على فوائدَ جمَّة[3].

٥ ـ **محمد بن الحسن بن محمد، برهانُ الدِّين الكاسانيُّ، أبو عبد الله الفقيه من أهل سمرقند**، كان إمامًا فاضلاً وشيخاً كاملاً في الفروع والأصول، وكان في الحديث أحفظَ زمانه، أخذَ عن نجم الدين عمر النسفيِّ عن صدر الإسلام أبي اليسر

---

(١) انظر: «إسناد صحيح البخاري» لابن ناصر الدين (ص: ٣٠٧).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٤٥).

(٣) انظر: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» (١/ ٢٥٨).

البَزْدَويِّ، وقدم بغداد حاجًّا سنةَ ستٍّ وسبعين وخمس مئة، وأملى بها الحديثَ عن النسفي[1].

٦ ـ **برهان الدين الحسنُ بن محمدٍ الكاسانيُّ**: ذكره العينيُّ في ترجمة أثير الدين بن نجيب بن محمد الكاسانيِّ، صاحبِ كتاب «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» فقال: وكان يروي كتاب «التيسير في التفسير» للإمام نجم الدين النسفي عن الشيخ الأجلِّ برهان الدين الحسن بن محمد الكاساني، وهو عن الشيخ الإمام نجم الدين[2].

قلت: ولعله الذي قَبْله.

٧ ـ **محمد بن عبد الجليل بنِ عبد الملك بن عليِّ بنِ حيدر السَّمَرْقَنْديّ الإمام أبو الفضل**، له «منتخب كتاب القند في تاريخ سَمَرْقَنْد» لأستاذه[3].

٨ ـ **أبو بكر بن أحمد بن عليِّ بن عبد العزيز البَلْخِيُّ الأصل السَّمرقَنْدِي الحنفي، عُرف بالظَّهير**، أخذ عن أبي حفصٍ عمر النَّسَفيِّ وقرأ عليه بعضَ تصانيفه، والإمامِ المرغيناني والأسبِيْجَابيِّ، ودرَّس بمراغة، وقدم حلب أيَّام نور الدِّين محمود بن زنكي، ثمَّ توجَّه إلى دمشق ودرَّس بالخاتونية وغيرها، وتوفي بها سنة (٥٥٣هـ)، وله كتاب أَلفه في شرح «الجامع الصَّغير»

قال ابنُ العَديم: أخبرنا أبو هاشمٍ عبدُ المطلب بنُ الفضل بنِ عبد المطلب الهاشميُّ قال: أخبرنا أبو سعدٍ عبدُ الكريم بن محمد بن منصورٍ السمعانيُّ ـ ونقلتُه

---

(١) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٦٢).

(٢) انظر: «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان» للعيني (١/ ٣٢٥).

(٣) انظر: «سلم الوصول إلى طبقات الفحول» لحاجي خليفة (٣/ ١٦٧).

أنا من خطِّ السمعاني ـ قال: وقال عمر بن محمد بن أحمد النسفي: الْتَمس الإجازةَ مني الإمام أبو بكر بن أحمدَ البلخيُّ السمرقنديُّ بهذه الأبيات:

أَيَا مقتدَى الأيام يَاذَا العلَا عمرْ ... وقاك حفيظُ الخلق من شُبْهَة الضَّرَرْ
أَجِزْ لأبي بكر بن أحمدَ مُفْضلاً ... وبدِّل له بالأَجْرِ بالصَّفوةِ الكَدَرْ
جميعَ الذي صنَّفْتَه وسمعتَه ... وخذْ صالح الدَّعْوَات في ظُلْمَةِ السَّحَرْ

قال: فكتبتُ إليه:

أجزتُ لسيدي وفريدِ عَصْري ... أبي بكرِ بن أَحْمد مَا ابتغاهُ
على شَرطِ التَّحَرُّزِ والتَّوَقِّي ... وذكري بِالدُّعَاءِ كَمَا حَكَاهُ
أجبْتُ دعاءَه فينا وفيه ... وفي الدَّارَيْنِ تمَّ له مُناهُ[1]

٩ ـ **عمر بن عبد الْمُؤمن بن يُوسُف الكجوادريُّ البَلْخِيُّ، أبو حَفْصٍ شيخُ الإسلام المنعوتُ بصفيِّ الدِّين**، اجتمع به صاحب «الهدايَة» في سفرهما إلى الحج سنة أربع وأربعين وخمس مئة وقرأ عليه أحاديثَ وناظره في المسائِل.

قال صاحب «الهدايَة»: أنشدنا الشَّيخ الإمام الزَّاهِد صفيُّ الدِّين منظوماً في الإجَازَة للشَّيخ الإمام نجمِ الدِّين عمر بن محمد النَّسَفيِّ:

أجزتُ لهم روايةَ مستَجازي ... ومسموعي ومجموعي بِشَرْطِهْ
فَلَا يَدْعُو دعائي بعد موتي ... وكاتبُه أَبُو حَفْص بِخَطِّهْ

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ٢٧١)، و«سلم الوصول» (١/ ٧٨)، و«الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٤٩).

ماتَ الكجوادريُّ سنة تسع وَخمسين وخمس مئَة[1].

١٠ ـ مُوسى بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن سِنَانٍ القحطانيُّ المعمَّريُّ أبو هارُون، تفقَّه ببخارى على عبد العَزِيز بن عمر بن مازة البُرْهَان، ذكره أبو حَفْص النَّسَفِيُّ في كتاب «القند في تَارِيخ سَمَرْقَنْد» وَقَال: قدم علينا سنة سِتَّ عشرَة وَخمْس مئَة، رَحل من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق وفارق أولاده، فَقِيه فَاضل مناظِر شَاعِر بليغ مُحدِّث محَاضِر، وبَقِي في بلاد العراق وخراسان وبخارى ثلاثَ عشرةَ سنةً ينشر الحديث والفقه والنَّظَر والكلام، وبَقِي عندي أيَّامًا وكتب عني الكثير، ولأجله جمعتُ كتاباً لقَّبته: «عُجالة النَّخشبيِّ لضيفِه المغربي» وفيه قلت:

لقد طلع الشَّمْسُ من غربها ... على خافقَيْها وأوساطِها
فَقلتُ القيَامَةُ قد أَقبلت ... فقد جاءَ أوَّل أشراطها[2]

١١ ـ روى عنه محمد بن إبراهيم بن محمد التُّورِبِشْتيُّ[3].

١٢ ـ روى عنه عمر بن محمد بن عمر العُقيليُّ[4].

٥ ـ مؤلفاته:

لقد كان النسفيُّ رحمه الله صاحبَ فُنُونٍ، فَقِيهاً فاضلاً عارفاً بالمذهب والأدب، صنَّف التصانيف في الفِقْه والحديث والتفسير والشُّروط، وله نحوٌ مِن مئةِ مُصنَّفٍ، ومن مصنفاته:

---

(١) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٢).

(٢) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ١٨٧).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٠/ ١٢٦). وقد تقدم ضمن سند الحديث المروي عنه.

(٤) انظر: «الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١/ ٣٩٤)

١ ـ «التيسير في التفسير» وهو موضوع بحثنا.

٢ ـ «طِلبة الطَّلَبة» في اللغة، على ألفاظ كتب الحنفية.

٣ ـ «تعداد الشُّيوخ لعمر مستطرَفٌ على الحروف مستَطَر» جمع فيه أسماء مشايخه، وهم: خمس مئة وخمسون شيخاً.

٤ ـ «تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار» روى فيه عن خمس مئة وخمسين شيخاً، وجمع أيضاً أسماء شيوخه، وحدَّث به لمَّا قدم بغداد.

٥ ـ «الأكمل الأطول في تفسير القرآن»، هكذا سماه في «هدية العارفين»، ولعله هو التفسير الكبير الذي ذكره في «التيسير»، فقد أشار إلى أن له غيرَه مطولاً فقال: والإتيانُ في القرآن لأربعينَ معنىً عدَّدْناها في تفسيرِنا الأولِ الأطول وسمَّاه في أكثر من موضع في تفسيره هنا باسم: «بحر علوم التفسير على نحو رسوم التذكير»، ونبه على ذلك ابن قطلوبغا عند ذكره لمشاهير كتب المؤلف فقال: و«التيسير» وفيه حَوالةٌ على تفسير كبير.

٦ ـ «النجاح في شرح أخبار كتاب الصحاح» وهو شرح لـ«صحيح البخاري»، ذكر في أوله أسانيده عن خمسين طريقاً إلى المصنف[1].

٧ ـ «الإشعار بالمختار من الأشعار» في عشرين مجلدًا.

٨ ـ «مشارع الشارع في فروع الحنفية»: ذكر فيه أنه لمَّا رأى المتعلِّمين

---

(١) ذكره ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١/ ١١٤)، وابن قطلوبغا في «تاج التراجم» (ص: ٢٧١)، وحاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٥٥٣) وقال: ذكر في أوله أسانيده عن خمسين طريقًا إلى المصنف. وذكره أيضًا في (٢/ ١٩٢٩) وقال: وهو لعمر النسفي، قال في أوله بعد ذكر أسانيده: هذِه خمسون طريقًا لإسناد كتاب «صحيح البخاري» أخذتها عن مشايخي، وذكره البغدادي في «هدية العارفين» (١/ ٧٨٣)، وكحالة في «معجم المؤلفين» (٧/ ٣٠٦).

متألِّمين، أغناهم عن البَطالة، وما أبلاهم بالإطالة، فجمع لهم ما هو عجالة الراكب، وسمَّاه: «مشارع الشارع»، وجعله خمسين كتاباً، وخمسةَ أقسام، وهي: العبادات، والمعاملات، والمباحات، والتبرعات، والجنايات. شرحه أبو علي العالي بن إبراهيم بن إسماعيل الغَزْنَويُّ الحنفي المتوفَّى سنة (٥٨١هـ)، وسمَّاه: «المنابع في شرح المشارع» وهذا الرجل مذكور في ديباجة الكتاب بأنه مؤلفه، لا عمر النسفي، وهو وهم[1].

٩ ـ نظم «الجامع الصغير» لمحمد بن الحسن، في فروع الحنفية. وقد ذكر في أوله قصيدة رائية في العقائد إلى إحدى وثمانين بيتاً.

١٠ ـ «القَنْد في ذكر علماء سَمَرْقَنْد» وهو مخطوط في مكتبة طرخان والده سي بتركيا، وخطُّه رائعٌ رائقٌ، ولكنه ناقص من أوله وآخره[2].

١١ ـ «الإجارات المترجمة بالحروف المُعْجَمَة».

١٢ ـ «بعث الرغائب لبحث الغرائب».

١٣ ـ «تاريخ بُخَارى».

١٤ ـ «الجمل المأثورة».

١٥ ـ «الحصائل في المسائل».

١٦ ـ «الخصائل في الفروع».

١٧ ـ «دعوات المستغفرين».

---

(١) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٦٨٦).

(٢) انظر: «نثل النبال» للحويني (٢/ ٥٨٩)، ومقدمة التحقيق لمطبوع «القند».

١٨ ـ «مجمع العُلُوم».

١٩ ـ «المعتقد» منظومة في الخلاف.

٢٠ ـ «منهاج الدِّرايَة في الفُرُوع».

٢١ ـ «ياقوتة في الأحاديث».

٢٢ ـ «يَوَاقِيت المَواقيت في فضائل الشُّهور والأيام».

٢٣ ـ «أجناس الفقه».

٢٤ ـ «الجمل المأثورة».

٢٥ ـ «الفتاوى النسفية» وهي فتاواه التي أجاب بها عن جميع ما سئل عنه في أيامه، دون ما جمعه لغيره.

٢٦ ـ «فتاوى» نجم الدين أبي الحسن عطاء بن حمزة السُّغْديِّ، التي تولَّى جمعها الإمام أبو حفص النسفي.

٢٧ ـ «المعتقد» شرحه الشيخ شرف الدين أبو الفضل إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الشيباني المتوفى سنة (٥٧٣هـ) وسمَّاه: «المنتقد»، ذكر فيه أنه رواه أبو جعفر الطحاوي ـ وهو الموثوق بروايته ـ عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله، ورواه عن أصحابه، وذكره بأوجز عبارة وأبلغ إشارة، وضمَّنه معظم أصول الدين.

٢٨ ـ «منظومة النسفي في الخلاف» رتبها على عشرة أبواب: الأول: في قول الإمام. الثاني: في قول أبي يوسف. الثالث: في قول محمد. الرابع: في قول الإمام مع أبي يوسف. الخامس: في قوله مع محمد. السادس: في قول أبي يوسف مع محمد. السابع: في قول كل واحد منهم. الثامن: في قول زفر. التاسع: في قول الشافعي. العاشر: في قول مالك. أتمها في يوم السبت في صفر سنة (٥٠٤هـ)، وعدد أبياتها ألفان وتسعة وستون وستُّ مئة، وأولها:

بـــاسمِ الإلـــهِ ربِّ كلِّ عـبـد والحـــمدُ لله ولـــيِّ الحمـــدِ

ولها شروح كثيرة تنظر في «كشف الظنون»[1].

٢٩ ـ «قيد الأوابد» منظومة في الفقه.

٣٠ ـ «كتاب ما ورد من الأخبار في ذكر معراج النبي المختار»[2].

٣١ ـ «عقائد النسفي»: قال في «كشف الظنون»: (وهو متن متين اعتنى عليه جماعة من الفضلاء...) ثم ذكر وأطال في تعداد شروحه وحواشيه، فلْتُنظَر ثمة[3].

وهذا الكتاب يُعدُّ من أهمِّ الكتب التي نُسبت للمؤلِّف، وإنما أخَّرناه لذكرِ ما وقعَ من الخلافِ في نسبته، فإن بعضَ العلماء خالَفَ في نسبةِ هذا الكتاب لنجم الدِّين النسفيِّ، ومنهم:

شمس الدِّين أبو عبدِ الله محمدُ بن محمد بن سليمان المكيُّ المالكيُّ (المتوفى: ١٠٩٤هـ) قال في كتابه «صلة الخلف بموصول السلف»: النسفيُّ هذا ليس هو مصنِّفَ العقائدِ المشهورة التي شرَحَها السَّعدُ كما توهَّمه الكمالُ بنُ أبي شريفٍ في حاشيته على شرح السَّعد لها، بل مصنِّفُها أبو الفضل محمدُ بن محمدِ بنِ محمدٍ النسفيُّ المعروفُ بالبرهان صاحبُ «مختصر تفسير الفخر الرازي»، و«المقدمة» المشهورة في الخلاف، و«بحر الكلام»، وله تصانيفُ كثيرة في علم الكلام وغيره، أجاز للبرزاليِّ وتوفِّي سنةَ سبعٍ وثمانين وستِّ مئة، وفاةُ الأولِ في سبعٍ وثلاثين وخمسِ مئة.

---

(١) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١٨٦٧).

(٢) ذكره في هذا التفسير (١٤/ ١٢٠).

(٣) انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١١٤٥).

قال: وللحنفية نسفيُّون سواهما:

منهم: أبو الليثِ أحمدُ بن عمرَ المتقدِّمِ، الفقيهُ الواعظ، توفي بعد أبيه بخمسَ عشرةَ سنةً.

ومنهم: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي صاحب «الكنز» و«المدارك» و«المنار» وغيرها، ويأتي سند مروياته في كتاب «السير الكبير» لمحمد بن الحسن.

ومنهم: أبو المعين ميمون بن محمد بن سعيد بن مكحول النسفي صاحب «التبصرة في علم الكلام» و«التمهيد لقواعد التوحيد» وغيرها[1].

ونحوَ هذا الكلام قاله أبو عبدِ الله محمدُ بن عبد الباقي بن يوسف الزرقانيُّ المالكيُّ (المتوفى: ١١٢٢هـ) في «شرح المواهب اللدنِيَّة»[2].

وكلام الزرقاني نقله اللَّكنوي في «الفوائد المجموعة» على أنه من الفوائد[3]، وظاهر كلامه موافقتُه فيما ذهب إليه، بل هو قد جَزَم تقريباً بذلك في ترجمةِ محمد بن محمد بن محمد أبي الفضل البرهان النسفي، فقال: وتصنيفه في الكلام مشهور بـ«العقائد النسفية» الذي شرحه سعد الدين التفتازانيُّ وغيره، كذا ذكره الزرقاني وغيره، قد نسبه صاحب «كشف الظنون» إلى أبي حفص عمر النسفي المتوفى سنة (٥٣٧)[4].

---

(١) انظر: «صلة الخلف بموصول السلف» (ص: ١٩٠).

(٢) انظر: «شرح المواهب اللدنية» (٧/ ٣٩٣).

(٣) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ٢٤٧).

(٤) انظر: «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٩٤).

كذا قال هؤلاء، **لكنَّ الدلائلَ التي تشيرُ لكونِ الإمامِ نجم الدِّين هو المؤلِّفَ له أقوى:**

فأولاً: كلامُ الأئمَّة السابقين أساسُه ومصدرُه هو الأول، أعني شمسَ الدِّين المالكي وما قاله في «صلة الخلف بموصول السلف»، فقد أخذ كلامه الزرقانيُّ فذكره بصياغةٍ قريبة جدًّا منه لكنه لم يَعزُه إليه، ومَن يراجعْ كلام الزرقانيِّ يعلم أنه قد اقتبَسه من شمس الدِّين، ثم جاء اللكنويُّ فاعتمد كلام الزرقاني.

وثانياً: أن العلامة سعدَ الدِّين التفتازانيَّ الشارحَ للعقائد قد صرَّح بنسبةِ الكتاب للإمام نجم الدين، فقال في خطبةِ شرحه: (وإن المختصر المسمَّى بـ«العقائد»، للإمامِ الهمام، قدوةِ علماء الإسلام، نجمِ الملة والدِّين، عمرَ النَّسَفِيِّ أعلى الله درجته في دار السلام...)[1]، فنسبه للإمام نجم الدين، ولا شكَّ أنه أعرف بذلك من غيره، وخصوصاً أنه من أئمَّة الحنفية، ومَن نفى ذلك مالكيُّ المذهب، وأهلُ مكةَ أدرَى بشِعابها.

وثالثاً: أن كثيراً من العلماء المحقِّقين قد نسَبوه لنجم الدِّين عمر رحمه الله، منهم الكمال بن أبي شريف في حاشيته على شرح السَّعد للعقائد كما تقدم، وابن الشِّحنة كما ذكر ابن عابدين في حاشيته «رد المحتار» ووافقه، وحاجي خليفة في «كشف الظنون»، والبغدادي في «هدية العارفين»، وكحالة في «معجم المؤلفين»، والزركلي في «الأعلام»[2].

فهذا كلُّه يرجِّح نسبة الكتاب للمؤلف رحمه الله، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) انظر: «شرح العقائد النسفية» للتفتازاني (ط: مكتبة المدينة كراتشي باكستان) (ص: ٤٦ ـ ٤٧).

(٢) انظر: «رد المحتار على الدر المختار» (٣/ ٥٥١)، و«كشف الظنون» (٢/ ١١٤٥) و«هدية العارفين» (١/ ٧٨٣)، و«معجم المؤلفين» (٧/ ٣٠٦)، و«الأعلام» (٥/ ٦٠).

٦ ـ شعره:

قال السمعانيُّ: وكان له شعرٌ حسنٌ مطبوعٌ على طريقةِ الفُقهاء والحُكماء.

قلتُ: وسنذكر هنا ما استطَعْنا التقاطَه من ثمار الحكمة التي جادت بها يدُ هذا العالم الجليل، فمِن ذلك ما ذكره الذهبي فقال: ومن شِعره:

كم ساكتٍ أبلغُ من ناطقٍ ... وراجِل أشجعُ من فارسِ
ولاحقٍ يَسبق عُربًا مَضَوْا ... بفضلِ دِينٍ وهو من فارسِ[1]

وقال ابن النجار: أنشدنا شهابٌ الحاتمي بهراةَ، أنشدنا عبد الكريم بنُ محمدٍ أبو سعد، أنشدنا أبو الليث أحمد بن عمر بن محمد النسفيُّ، أنشدنا والدي لنفسه:

تزورُ المشاهدَ مستشفعاً ... بحُرمة مَن دفنوهم هناك
فكن أنت آخذاً أوصافهم ... نزورك حيًّا ومَيتاً لذاك[2]

وذكر له المستعصِميُّ:

الأَمْنُ واليُمنُ في ثلاثٍ ... في الحِلم والرِّفقِ والسَّخاوَه
والشَّرُّ والشؤمُ في ثلاثٍ ... في البُخل والظُّلم والقَساوَه[3]

وذكر له المستعصِميُّ أيضا:

قال النَّبيُّ فاسْمَعُوا وسَلِّمُوا لِحُكْمِهِ ... شَرُّ الأَنَامِ عَالِمٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٦/ ٤٤٨).

(٢) انظر: «ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار (٥/ ٩٨).

(٣) انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» للمستعصمي (٥/ ٩٧).

مَـن لَم يزَعهُ عِلمُـهُ عن فِسـقِهِ وظُلمِهِ فإِثـمُ كُلِّ آثـمٍ يكُـون دُونَ إثمـهِ[1]

وقال برهان الإسلام الزَّرْنُوجي: وأنشدتُ للشيخ الإمام الجليلِ الزاهد الحَجَاج نجم الدِّين عمرَ بن محمد النسفيِّ شعراً:

كُـنْ للأوامـرِ والنَّواهـي حافظـاً وعـلى الصـلاةِ مُواظبـاً ومُحافِظـا
واطلُبْ علومَ الشرعِ واجْهَدْ واستَعِنْ بالطيِّبـاتِ تَـصِرْ فَقيهـاً حافِظـا
واسـأَلْ إلهَـكَ حِفْـظَ حِفْظِـكَ راغباً مـن فَضْلـهِ فـاللهُ خـيرٌ حافظـا

وقال رحمةُ الله عليه:

أطيعـوا وجِـدُّوا ولا تَكْسَـلوا وأنتـم إلى ربِّكـم تُرجعـونْ
ولا تهجَعـوا فخِيَـارُ الـورى قليـلاً مـن الليـل مـا يَهجعـونْ[2]

وقال في أمِّ ولدٍ له:

سـلامٌ عـلى مَـن تيَّمَتْنـي بظَرْفهـا ولمعـةِ خدِّهـا ولمحـةِ طَرْفِهـا
سَـبَتْني وأَصْبَتْنـي فتـاةٌ مليحـةٌ تحـيَّرتِ الأوهـامُ في كُنْـهِ وَصْفِهـا
فقلـتُ ذَرِينـي واعذُرِينـي فإنَّنـي شُـغِفْتُ بتحصيـلِ العلـومِ وكَشْـفِها
ولي في طِلَابِ الفضلِ والعلمِ والتُّقَى غِنًـى عـن غِنـاءِ الغانيـاتِ وعَرْفِها[3]

وقال كمالُ الدِّين محمدُ بن موسى بن عيسى بن عليٍّ الدَّمِيريُّ أبو البقاء الشافعي: وما أحسن قول عمر بن محمد النسفي:

---

(١) انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» للمستعصمي (٩/ ٣٧٩).

(٢) انظر: «تعليم المتعلم عن طريق التعلم» للزرنوجي (ص: ٥٨).

(٣) انظر: «تعليم المتعلم عن طريق التعلم» للزرنوجي (ص: ٦٢).

أَنِلْنـي بالـذي اسـتَقْرضْتَ خطًّـا ... وأَشْـهِدْ مَعـشرًا قـد شـاهَدُوهُ
فـإن الله خـلَّاقَ البرايـا ... عنَـتْ لجـلالِ هَيْبتـهِ الوجـوهُ
يقـول إذا تدايَنتُـم بديـنٍ ... إلى أجـلٍ مسـمًّى فاكتبـوهُ[1]

ورَحِم الله الإمامَ نجمَ الدين فقد استمرَّ ولعُه بالكتابة نثراً ونظماً حتى في قبره بعد وفاته، فقد رُوي أنَّ شخصاً رآه بعد موته في المنام فقال: كيف كان سؤالُ مُنكرٍ ونَكير؟ فقال: ردَّ الله إليَّ روحي فسألاني، فقلت لهما: أُخبرُكما في ردِّ الجواب نظماً أو نثراً؟ فقالا: قلْ نظماً، فقلتُ:

ربِّي اللهُ لا إلـهَ سـواهُ ... ونبيِّـي محمـدٌ مصطَفـاهُ
دينـي الإسـلامُ وفِعْـلي ذميـمٌ ... أسـألُ الله عفـوَه وعطَـاهُ[2]

فانتبه ذلك الشخص من المنام وقد حَفِظ البيتين.

٧ ـ وفاته:

توفِّي العلَّامة نجمُ الدِّين ليلةَ الخميس ثاني عشرَ جُمادى الأولى سنةَ سبعٍ وثلاثين وخمس مئةٍ بسمرقند، فرحمه الله وأجزلَ له الثواب على ما قدَّم من خيرٍ لهذه الأمة، ولو لم يكن له سوى التفسيرِ لكفاه، وهذا ما سيتبيَّن إن شاء الله حين نبحرُ في ذلك البحر الواسع المليء بالكنوز، الزاخر بالدُّرِّ واليَواقيت.

***

(١) انظر: «النجم الوهاج في شرح المنهاج» للدميري (٤/ ٢٨٧).

(٢) انظر: «روح البيان» لأبي الفناء الخلوتي (٤/ ٣٩٢).

الفصل الثاني
دراسة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وبعد:

فبعد أن أكرمنا الله سبحانه بإنجازِ هذا السفر العظيم كان لا بدَّ لنا من وضعِ دراسةٍ له تليق به وبما يستحقُّه من بيانٍ وتعريف، وتكونُ كاشفةً لِمَا فيه من أبحاث، ومعرِّفةً بما تميَّز به عن غيرِه من التفاسير.

وسوف نقوم في هذه الدراسة بتناول الموضوعات التالية:

أولاً: تأكيد نسبة الكتاب لمؤلفه.

ثانياً: مصادرُ نقلت عن هذا التفسير.

ثالثاً: بيانُ خصائص وميزات هذا التفسير التي تميَّز بها عن غيره من التفاسير.

رابعاً: بيانُ منهج المؤلف الذي سلكه في تأليف تفسيره.

وهذا هو البحثُ الأهمُّ في هذه المقدمة، ونتناول فيه:

١ ـ مصادرَه التي اعتَمد عليها وكيفيَّةُ إفادته منها.

٢ ـ تفسيرَ القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

٣ ـ التفسيرَ بالمأثور فيه.

٤ ـ ردودَه على المذاهب الفاسدة.

٥ ـ منهجَه في النحو.

٦ ـ منهجَه في الفقه.

٧ ـ منهجَه في القراءات.

٨ ـ تعامُلَه مع الإسرائيليات.

خامساً: وصف النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق.

سادساً: عملُنا في الكتاب.

ونسأل الله تعالى التوفيقَ في مسعانا لرسمِ الصورةِ اللائقة بهذا التفسير.

* * *

أولاً: تأكيد نسبة الكتاب إلى المؤلف

لا شكَّ في نسبةِ هذا التفسير للعلَّامة أبي حفصٍ النسفيِّ، وقد ذكره عنه كلُّ مَن ترجم له أو نقل عنه، فمن هؤلاء:

١ ـ ذكره الأدنوي في «طبقات المفسرين» (ص: ١٧١) فقال: وأجلُّ تصانيفه «التَّيْسير في تَفْسير كتاب الله تعالى» في أربعِ مجلَّداتٍ أَبدعَ فيها بالنِّكات.

٢ ـ ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٥١٩) فقال: «التيسير في التفسير» لنجم الدين أبي حفصٍ عمرَ بنِ محمدٍ النسفيِّ الحنفيِّ، ذكر في الخطبة مئةَ اسم من أسماءِ القرآن، ثم عرَّف التفسير والتأويل، ثم شرع في المقصود، وفسَّر الآيات بالقول، وبسَط في معناها كلَّ البسط، وهو من الكتب المبسوطة في هذا الفن.

٣ ـ وقال اللَّكنويُّ في «الفوائد البهيَّة في تراجم الحنفية» (ص: ١٥٠): وله تصنيفاتٌ جليلة في التفسير والفقه، وأجلُّ تصنيفاته: «التيسير في التفسير».

وانظر الفقرة الآتية فإنها متمِّمةٌ لهذه الفقرة.

***

ثانياً: مصادر نقلت عن هذا التفسير

وقد نقل عنه جمعٌ من كبارِ العلماء، مصرِّحينَ في كثيرٍ من المواضع بعنوانِ الكتابِ واسمِ مؤلِّفه، ومُكتَفين في أخرى باسم الكتاب، وربما وقع ذلك دونَ تصريح، لكنْ بالمقارنةِ مع كلام المؤلِّف تبيَّن أن هذا التفسيرَ هو مصدرُ ذلك، ففي كلِّ ذلك زيادةُ تأكيدٍ في نسبة الكتاب للمؤلِّف:

١ ـ **فمِن أوائلِ مَن وجدتُ أنه نقَل عنه علاءُ الدِّين البخاريُّ في «كشف الأسرار»**: حيث قال: قال الإمامُ نجمُ الدِّين رحمه الله في «التيسير»: ويدخل في البيانِ الكتابةُ والإشارةُ وما يقع به الدلالةُ، وهو امتنانٌ منه على العباد بتعليمِ اللُّغاتِ المختلفةِ ووجوهِ الكلام المتفرِّقة[1].

ونقل عنه في موضع آخر تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة: ١٧٣] فقال: قال الإمامُ نجمُ الدِّين رحمه الله في «التيسير»: قيل: هما واحدٌ، ومعناهما: مجاوزةُ قَدْرِ الحاجة، والتكرارُ للتأكيد كقوله تعالى: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧][2].

٢ ـ **وممن نقل عنه العلَّامة الطيبي في حاشيته على «الكشاف»**: نَقل عنه في كثير من المواضع:

منها: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨]، قال: ونقل صاحبُ «الفَرائد» عن صاحبِ «التيسير»: الأغلالُ مع الأيدي مجموعةً إلى الأذقان عبارةٌ عن منعِ التوفيق حين [كذا، والصواب: حتى] كانوا متكبِّرين مستثقلينَ للحق، لأن المتكبِّر يُوصَف بانتصابِ العنق، والمتواضِعَ

---

(١) انظر: «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي» (٣/ ١٥٩).

(٢) انظر: «كشف الأسرار شرح أصول البزدوي» (٤/ ٥٣٢).

يُوصف بضده، قال تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦][(١)].

قلت: والكلام بحرفه منقول من هذا التفسير وسيأتي في مكانه.

ومنها: قوله: وقد أجاد صاحب «التيسير» حيث قال: قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٧١] دلَّ على الأطعمة، وقوله: ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ على الأشربة، وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١] على أنَّ في الجنةِ وراءهما من أصنافِ النِّعَم شيئًا آخَرَ[(٢)].

وقد نقل الطيبي عن «التيسير» في مواضع كثيرة من حاشيته المذكورة.

٣ ـ وممَّن نقَل عنه أبو بكرٍ البقاعيُّ: في «مَصاعِد النَّظر» في سورةِ الفاتحة فقال: وقال الإمامُ نجمُ الدِّين أبو حفصٍ عمرُ النسفيُّ في تفسيره «التيسير»: هي ثماني آياتٍ في قول الحسن البَصْريِّ، وستٌّ في قولِ الحسين الجُعْفيِّ، وسبعٌ في قول الجمهور[(٣)].

٤ ـ وممن نقل عنه العلامة ابن كمال باشا: في «تفسيره» وغيره من مؤلفاته:

منها: ما نقله في «أربعينياته» فقال: قال الإمامُ النَّسفيُّ صاحبُ «التَّيسير» في تفسيرِ سورةِ النِّساء: رَوى جابرُ بنُ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنه عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «اتَّخذ اللهُ إبراهيمَ خليلاً لإطعامِه الطَّعامَ»[(٤)].

ومنها: تعقُّبه في رسالته المسماة «رِسالةٌ في تَحقِيقِ الغَيبِ» على المؤلف فيما

---

(١) انظر: حاشية الطيبي على «الكشاف» المسماة «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٣/ ١١).

(٢) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٤/ ١٧٤).

(٣) انظر: «مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور» (١/ ٢٠٨).

(٤) انظر: «أربعينيات ابن كمال باشا» (ص: ١٣٧).

ذهبَ إليه مِن أنَّ المُرادَ بقَولهِ تَعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٧] حِفظُه مِن الجَوانبِ كيلا يَقْربَه الشَّيطانُ عند إنزالِ الوحي فيُلقِيَ في وَحيه غيرَ الوحي، أو يَسمعَه فيُلقِيَه إلى الكَهنة فيُخبِرون به قَبلَ إخبار الرسول[1].

ومنها: ما نقَله عنه في رسالته المسمَّاةِ: «رسالةٌ في شرحِ حديثِ سأُخْبِرُكم بأوَّلِ أَمْرِي» فقال: وفي روايةِ النَّسفيِّ في «التَّيسير»: «أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبِشارةُ أخي عيسى، ورُؤيا رأتها أمِّي آمِنةُ؛ خَرج منها نورٌ أضاءتْ له قصورُ بُصرى»[2].

وغير ذلك كثير، كما نقل عنه أيضاً في «تفسيره» أموراً لا تحصَى مصرِّحاً بالنقل عنه أحياناً ودونَ تصريحٍ في أحيانٍ أخرى:

فممَّا صرَّح فيه: ما نقله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] قال بعدَ أن اختار تأويلاً للآية: وبما قرَّرناه تبيَّن الخلَل فيما قيل: إنه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم، فقالوا: لتنتهينَّ عن سَبِّ آلهتنا أو نهجونَّ إلهك، فنزلت. فإنَّ عبارة: (نهجونَّ) تأبى عن التَّأويل المذكور، وقد ذكر في «التيسير» سببَ النزول على وفق ذلك التأويل.

ومنه: قوله في تفسير سورة الكهف: وفي «التَّيسير»: كان البحرُ الذي يعمَلون فيه أصحابُ السَّفينة ما بين بحر فارسَ إلى بحر الرُّوم.

وكلٌّ وَرَدَ في هذا التفسيرِ كما سيأتي في موضعِه، وقد نقَل عنه في مواضعَ أخرى دون تعيينٍ، لكنْ بالمقابلةِ مع ما جاء في هذا التفسيرِ وجدْنا الكلامَ متطابقاً تماماً:

---

(١) انظر: «مجموع رسائل ابن كمال باشا» (١/ ٢٧٩).

(٢) انظر: «مجموع رسائل ابن كمال باشا» (٢/ ٢٦٩).

فمن ذلك: نكتةٌ ذكَرها ابنُ كمال باشا في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]، وكنَّا قد أوردناها في مقدِّمة تحقيقنا لـ«تفسير ابن كمال باشا» على أنَّها من إبداعاته وبناتِ أفكاره، ثم تبيَّن عند تحقيقِنا لهذا التفسيرِ أنها للمؤلِّف رحمه الله، وهي قوله: قال في صفةِ الحور: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩] وفي صفةِ الولدان: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]، وأشار بذلك إلى أن الحورَ للصُّحبة دون الولدان؛ لأنَّ اللؤلؤَ للنَّظر لا للذَّوق، والبيضَ لهما.

وهذا الكلامُ متطابقٌ بين التفسيرين.

ومما نقله عنه دون تصريحٍ أيضاً: قولُه في تفسير سورةِ يوسفَ: فأمَّا قوله: ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] فهي على القلَّة؛ لأنهم كانوا يعدُّون القليل ويَزِنون الكثير.

٥ ـ كما نقل عنه الشهابُ الخَفَاجيُّ في حاشيته على تفسير البيضاويِّ المسمَّاةِ: «عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي» في عشرات المواضع:

منها: قوله في تفسير الفاتحة: الغضبُ والضلالُ وردا جميعاً في القرآن لجميع الكفار على العموم حيث قال: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧] ولليهود والنصارى جميعاً على الخصوص حيث قال في حق اليهود: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] إلخ، وفي حق النصارى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ [المائدة: ٧٧] كما في «التيسير»[1].

---

(١) انظر: «عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي» (١/ ١٤٦).

ومنها: في سورة البقرة قال وهو يتكلَّم عن التعجيبِ والتعجُّب في معنى (كيف): والأُولى أَولى؛ لِمَا في «التيسير»: أن (كيف) تكون للتعجُّب نحو: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٥٠]؛ أي: تعجَّب يا محمد، وللتعجيب؛ أي: الحملِ على التعجُّب[١].

ومنها: قوله: وهذا مأخوذ من قوله في «التيسير»: ويجوز أن يكون الخطابُ للمسلمين، والمعنى: كيف تكفرون نِعَمَ الله عليكم وقد كنتُم أمواتاً بالكفرِ أو الجهلِ فأَحْياكم بالإيمان أو العلم[٢].

٦ ـ **ونقل عنه إسماعيل حقي في «روح البيان»** في عشرات المواضع بالتصريح[٣]، وفي مواضعَ بغيرِ تصريح:

فممَّا نقله دون تصريح: حديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من أن أزنيَ أو أسرقَ، فقيل له: قد كبرتْ سنُّك، وأنت صاحبُ رسول الله ﷺ، أتخافُ على نفسك من الزنا والسرقة؟! فقال: كيف آمَنُ وإبليسُ حيٌّ[٤].

٧ ـ **ونقل عنه ابن عابدين في «الحاشية»** في الكلامِ عن محظوراتِ الإحرام فقال: قال صاحبُ «الملتقَط» في كتاب الأيمان: إنَّ الكفارة تَرفعُ الإثمَ وإنْ لم توجد منه التوبةُ من تلك الجناية اهـ، ويؤيِّده ما ذكره الشيخُ نجمُ الدِّين النسفيُّ في

---

(١) انظر: «عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي» (٢/ ١٠٩).

(٢) انظر: «عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي» (٢/ ١١١).

(٣) منها ما جاء في تفسير قوله تعالى في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وفي سورة البقرة في قوله: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾، وغيره كثير.

(٤) انظر: «روح البيان» (٢/ ١٩٣).

تفسيره «التيسير» عند قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٤]؛ أي: اصطاد بعد هذا الابتداء[1].

٨ ـ ونقل عنه الآلوسي في «روح المعاني» في مواضعَ كثيرةٍ مع التصريح بالنقل من «التيسير»[2].

***

(١) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٢/ ٥٤٤).

(٢) منها ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: ٣٦]، وغيره كثير.

ثالثاً: بيانُ خصائصِ هذا التفسيرِ ومِيِّزاتُه التي تميَّز بها عن غيرِه من التفاسير

لقد اجتمع في هذا التفسيرِ أمورٌ لم تجتمِعْ في أيِّ تفسيرٍ آخر؛ من متانةِ الأسلوب، ووضوحِ المعاني، وكثرةِ النِّكات، وقوةِ الحُجج، وغيرِ ذلك مما سنبيِّنه فيما يأتي.

١ ـ وأولُ ما تميَّز به هذا التفسيرُ: هو أسلوبه في تفسير القرآن بالقرآن، واعتمادُه على ذلك في الاحتجاج والبيان، ووصولُه فيه إلى درجةٍ لم يصلْ إليها أيُّ تفسير، وقد أعددْتُ لهذا دراسةً شاملةً ستأتي إن شاء الله عند بيان منهج المؤلف في تفسيره هذا.

٢ ـ وإنَّ من أهم ما يُميِّز هذا التفسير: هو ذاك النَّفَسُ الإيمانيُّ والنَّفْحُ الرَّبَّانيُّ المتخالِطُ مع التفسيرِ اللفظي، والمتشابِكُ معه، بعباراتٍ لطيفةٍ رائقة، وألفاظٍ منتَقاةٍ لائقة، صادرةٍ عن قلبٍ خاشعٍ ولسانٍ ذاكر، فيَشعر الإنسانُ أنها تتغلغلُ في أعماقه، وتحرِّك منه المشاعر:

ـ كقوله في تفسير: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ بعد نقله كلامَ بعض العلماء في الصراط: وأنا أقول:

هو ما ليس عليه ظلامُ النُّكرةِ ولا غبارُ البِدعة.

هو ما لا يَضلُّ سالكُه ولا يهتدِي تاركُه.

هو ما لا يُخاف فيه قطعُ الطريق، ويُمدُّ سالكُه ببَدْرقةِ[1] العصمة والتوفيق.

---

(١) البدرقة قال في «التاج» (مادة: بذرق): بالذالِ المُعْجَمة والمُهمَلة، وقال ابْن بَرِّي: هِيَ الخفارة، وقالَ الهَروي في (فصل عصم) من كتابِه «الغريبين»: إن البَذْرقَة يُقال لها: عصمةٌ؛ أَي: يعتصم بها... =

هو ما يُسهِّل إلى المقصِد، والمقصودُ وصولُ قُصَّاده، واللهُ تعالى بمِرْصاده.

ـ وقوله في تفسير الصراط أيضاً: إنما سمِّي الدِّين صراطاً لأن مَن كان له مقصودٌ أو مطلَبٌ فإنما يصل إليه بعد قطعِ الطريق، وسلوكِ سواءِ السبيل، واللهُ تعالى متعالٍ عن الأمكنةِ، لكنَّ العبد الطالب صاحبُ المكان، فلا بد له من قطعِ المسافات، ومسِّ الآفَات، وتحمُّلِ المَخافات، ليُكرَم بالوصولِ والموافاة.

ـ وقال في شرح التي بعدها: وقيل: ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في البدايةِ بالعناية، وفي الحالِ بالهداية، وفي النهايةِ بالحماية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١] وهذا في البداية، وقال تعالى: ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧] وهذا في الحال، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وهذا في النهاية.

ـ وقال في تفسير الآياتِ التي في مطلعِ سورةِ البقرة: ثم مجموعُ الآية أنه قال: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهو مدحٌ بترك كلِّ المخالفات، ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ وهو ثناءٌ برأس الطاعات، ثم قال: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهو مدحٌ بجامعةِ العبادات، ثم قال: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ وهو مدحٌ بما هو أساسُ السَّخاوات، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ وهو التصديقُ بكلِّ الرسالات، ثم قال: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وهو الإقرارُ والاعتقادُ بالبعث والجزاء على كلِّ المعاملات، ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو شهادةٌ لهؤلاء الموصوفين بالهداية في كلِّ الحالات، وحُقَّ لمن جمَع هذه الصفاتِ أنْ يؤهَّل لهذه الصِّلات.

= يُقال: بَعَث السُّلطانُ بَذْرَقَة مع القافِلَةِ، بالذَّالِ معجَمَةً... والمبذرِق: الخفير.

قلت: وينتج أن المراد بها هنا: العون والمدد، وما في معناهما.

ـ وقال: وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] دلالةٌ على شمول القدرة والصَّنعة، وتنبيهٌ عن سِنَة الغفلة، أنهم كانوا فمضَوا، وجاؤوا وانقضَوا، فلا تنسَوا مصيركم، ولا تَستجيزوا تقصيرَكم.

ـ وفي أولِ يوسف قال: وانتظامُ أوَّل هذه السُّورةِ بآخرِ السُّورة الَّتي قبلَها: أنَّه افتتحَ هذه السُّورة بقوله: ﴿الٓر﴾ معناه: أنا اللهُ أرى من العرشِ إلى الثَّرى، فلي غيبُ السَّماوات العُلى والأراضي السُّفلى، ولسْتُ بغافلٍ عمَّا يعمل الورى.

وقيل: أنا الله أرى ما نزل بيوسفَ مِن البلوى، من الجبِّ والسِّجن والشَّكوى، ثمَّ جعلتُه مَلِك الدُّنيا، وجمعتُه مع شيخِه المبتلَى.

٣ ـ كما يتميز بتلك النقول الرائعة والأقوال الجامعة المانعة، والتي كثير منها لا تجده في الكتب، وفيها جوامعُ الكلِم، والمواعظُ والحكم:

ـ ففي تفسير الفاتحةِ في سببِ تسميتها بأمِّ الكتاب أسهَبَ في شرح ذلك وما قيل فيه، ومنه قوله: وقيل: الأمُّ: الإمامُ؛ فالسورةُ إمامُ أهلِ الإسلام، وأمُّ القرى مقصدُ الأنام، وجهنَّم قيل لها: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩]؛ لأنَّ الكافرَ له إليها المرجعُ والمقام، والدِّماغُ أمُّ الرأس وللرأسِ به القيام؛ فأمُّ القرآنِ تقوم بهذه المعاني العظام.

ـ وفي الفاتحة أيضاً قال: وقالوا: خيارُ المسلمين سبعةُ أصنافٍ: الحامدونَ، والراجون، والخائفونَ، والمخلِصون، والمتوكِّلونَ، والمستقيمون، والعارفونَ، وفي هذه السورة نصيبٌ لكلِّهم؛ فقولُه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على نصيبِ الحامدين، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على نصيبِ الراجين، وقولُه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ على نصيبِ الخائفين، وقولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على نصيبِ المُخلِصين، وقولُه: ﴿وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴾ على نصيبِ المتوكِّلين، وقولُه: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ على نصيبِ المستقيمين. وبقيَّةُ السورة على نصيبِ العارفين.

ـ وفيها أيضاً في بيان الحمد والشكر: وقيل: الحمدُ مقلوبُ المدح، والشكرُ مقلوبُ الكَشْر، وهو انفتاحُ الشَّفتَيْن بالضَّحك حتى تبدوَ الأسنانُ، فالشكرُ انكشافُ الغطاءِ عن القلب حتى يعرفَ المنَّة مِن المنَّان.

ـ وكقوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾: قال الواسطيُّ: أولُ قَدَمٍ في الإيمانِ: أن لا يجريَ عليك التلوين فيما يَرِدُ عليك من نعمةٍ أو بليَّة؛ إذ لا فرق بينهما في الحقيقة.

وقال داودُ الطائيُّ: الإيمان: ما يُوْرِثُك النورَ بعد الظُّلمة، ثم اللِّينَ بعد القَسوة، ثم السُّنَّةَ بعد البِدْعة، ثم التلذُّذَ بالعبادة بعد المجاهدة.

وقال سهلُ بن عبد الله التُّسْتَريُّ رحمه الله: الإيمانُ أربعةُ أركان: التوكُّلُ على الله، والاستسلامُ لأمر الله، والرِّضا بقضاءِ الله، والشكرُ لنعماء الله عزَّ وعلا، والتقوى بابُ الإيمان، واليقينُ قلبُ الإيمان، والصبرُ عمادُ الإيمان، والإخلاصُ كمال الإيمان.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ الآية [آل عمران: ٢٠٠] كان مما نقله فيها:

وقال بعض أهل المعرفة: ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ على بلائي ﴿وَصَابِرُواْ﴾ نَعمائي ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أعدائي ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ محبة مَن سوائي ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ غداً بلقائي.

وقال آخر: ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ عند قيام النفير على احتمال الكُرَب ﴿وَصَابِرُواْ﴾ على

مقاساة العناء والتعب ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أعدائي بلا هرَب ﴿وَٱتَّقُواْ﴾ بهممكم عن الالتفات إلى السبب ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ غدا بلقائي على بساط الطَّرب.

وقال الإمام القشيريُّ رحمه الله: يقال ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ على الطاعات وعن المخالفات ﴿وَصَابِرُواْ﴾ في ترك الهوى والشهوات، وقطع المنى والعلاقات ﴿وَرَابِطُواْ﴾ بالاستقامة في الصحبة في عموم الحالات.

قال: ويقال: ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ بنفوسكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ بقلوبكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ بأسراركم.

قال: والصبرُ مرُّ مذاقتُه إذا كان العبدُ يتحسَّاه على الغَيبة، وهو لذيذٌ طعمُه إذا شربه على الشهود والرؤية ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بمخالفةِ أهوائكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الفلاحُ: الظَّفَر بالبُغية، وهمةُ القومِ اليومَ الظَّفَرُ بنفوسهم، فإذا ظَفِروا بها ذبحوها بسيوفِ المجاهَدة، وصلَبوها على عيدان المكابَدة، وبعد فنائهم عنها يَحصلُ بقاؤهم بالمشاهَدة.

ـ وذكر أيضاً في الموضع نفسه: وقال عطاء: ﴿ٱصْبِرُواْ﴾ على دينكم ﴿وَصَابِرُواْ﴾ الوعد الذي وعَد ربُّكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ عدوِّي وعدوَّكم، حتى يرجعَ عن دينه إلى دينِكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ أي: خافوني فيما نهيتُكم وأطيعوني فيما أمرتُكم ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ تُسْعَدون وتَبقَون في الجنة ناعمين مخلَّدين كما بشَّرتكم.

٤ ـ وإن من أهم ما تميز به أيضاً كثرة ما ينقله من آثار أو أقوال في التفسير أو النحو أو اللغة أو غيرها مما لا يوجد في الكتب التي بين أيدينا:

وهذا مما يبوِّئ هذا التفسير المكانة العالية السامقة على غيره من التفاسير المطبوعة.

ففي الآثارِ عن السَّلفِ مثلاً كثيرٌ مما ساقهُ لم نقف عليه، والغالبُ أنه نقلَه من

الكتب التي زَخرتْ بها مكتباتُ بلده وغيرِه من بلدانِ العالَم الإسلاميِّ، لكنها لم تَصِلْ إلينا لسببٍ من الأسباب:

ـ فمِن ذلك قولُ عليٍّ رضي الله عنه: لا تُنزِلوا الموحِّدين العارفين المخبِتين الجنةَ حتى يكونَ اللهُ هو يحكُم فيهم؛ لأن الله تعالى يقولُ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، ولا تُنزلوا الموحِّدين العارفين المذنبين النار حتى يكون الله هو يحكم فيهم؛ لأن الله يقول: ﴿لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ١١] نقَل هنا أقوالاً:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أهلكنا. وقال الضحاك: دمَّرنا. وقال أبو العالية: خرَّبنا. وقال ابن كيسان: هزَمْنا وقتلنا، وأنشد قولَ تبَّعٍ اليمانيِّ:

ولقد قَصَمْتُ يهودَ خيبرَ كلَّهم ... فتركتُ خيبرَ غيرَ ذاتِ يهودِ

ولم أَقِفْ على هذه الأقوال عدا الأول، فقد رواه الطبري في «تفسيره» لكنْ عن ابن جُريجٍ ومجاهدٍ وابن زيد.

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾: ذكر قول عمر رضي الله عنه: نِعْمَ السلاحُ القوسُ.

ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] قال:

وقال محمَّد بن عليٍّ الباقر: كلامُ أهلِ الجنَّة ثلاثة: التَّسبيح والتَّحميد وتسليمُ بعضهم على بعضٍ، ورزَقَ اللهُ تعالى هذه الثَّلاثةَ للمؤمنين في الدُّنيا في الصَّلاة؛ يَفتتِحون الصَّلاة بالتَّسبيح، ويفتتحون القراءة بالحمد، ويختمون بالسَّلام.

وقال الحسين بن علي: إذا أرادوا الطَّعام والشَّراب سبَّحوا، وإذا فرغوا حمدوا، وإذا اشتاقوا هلَّلوا، وإذا تلاقوا سلَّموا، وإذا تفرَّقوا بعدَ التَّزاور فآخر دعواهم ـ أي: آخر كلامهم عند التَّفرُّق ـ الحمد لله ربِّ العالمين.

ـ وعند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ [النمل: ٤٠] ذكَر ما فيه من أقوالٍ للسلف فقال:

قال مجاهد: دعا الله فأُخرج له من نفقٍ في الأرض حتى وُضع بين يديه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال: يا حيُّ يا قيوم.

وقال عبد الله بن سلَامٍ: قال: اللهمَّ إني أسألُكَ بأنك أنت اللهُ الذي لا إلهَ إلا أنت، الحيُّ القيوم، الطاهرُ المطهّر، نورُ السماوات والأرض، عالمُ الغيب والشهادة الكبيرُ المتعال.

ورُوي عن جابرٍ أنه قال في الدعاء: يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ.

وقال عمرو بن عديٍّ: دعا فقال: يا ذا الجلالِ والإكرام، والفضلِ العظيم، والعزِّ الذي لا يُرام.

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ١٠] ذكَر قولَ الحسن: حصِّل ما في صدور الصُّحف، وهو كتحصيلِ الحساب: يَذهب ممَّا كان في صور الطاعات ما لم يكن لوجهِ الله ويبقَى ما هو لوجهه.

ـ وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾: وقال الحسن: لجهنَّم سُرادقٌ كما قال: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] وللسُّرادق عَمَدٌ، فإذا مُدَّت تلك العَمَد أُطْبقت جهنمُ على أهلها.

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: وقال يَعْلَى بن عطاء: ﴿وَثِيَابَكَ

فَطَهِّرْ﴾ ممَّا كنْتَ تفكِّر فيه، ولا يَكثُرَنَّ[1] عليك ما أوذِيْتَ به، فإنَّه قليلٌ في جنبِ ما يريد الله أن يثيبَكَ.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ [آل عمران: ٣٩] عدَّد ما جاء فيه من أقوالِ السلف، وآخرُها: وقيل: الفقيهُ العاملُ بعلمه. ثم عقَّبه بقوله: وعندي هو الأصوبُ، فإنَّ عمر بنَ عبد العزيزِ قال للحسن البصريِّ: شَرُفْتَ في الدُّنيا بعلمك، فاعمل به تَشرُفْ بالآخرة.

وغيرُه كثيرٌ جدًّا من أقوالِ السلف، التي لم نجد في ذكرها للمؤلِّف سَلَف.

هذا فضلاً عن كثيرٍ من أقوالِ أئمةِ التفسير واللغة والنحو التي لم نقفْ عليها أيضاً، وممَّن أكثَرَ من النقلِ عنهم ولم نجدْ في الغالبِ أقوالهم: الكسائيُّ وقطربٌ ونِفْطويه والأخفشُ والقَفَّال وأبو سعيدٍ الضَّريرُ وأبو معاذٍ وغيرهم.

ـ فمِن ذلك ما نقَله عن الكسائيِّ في قوله تعالى: ﴿ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] من قوله: فيه وجوهٌ:

إن شئت على العطف بغير واوٍ، كأنه قال: فيه آياتٌ بيناتٌ وفيه مقام إبراهيم وغيرُه.

وإن شئْتَ: على الإضمار، كأنَّه قال: فيه آياتٌ بيناتٌ منها مقام إبراهيم.

وقيل: المقام مع أنه واحدٌ هو آياتٌ بيِّناتٌ؛ لأن المقامَ دلَّ على وحدانيةِ الله تعالى وكمالِ قدرتِه وعلمِه وسائرِ صفاته وأسمائه، وعلى نبوَّة إبراهيمَ وصِدْقِ دعوته وصدقِ شرائعه، فكانَ المقامُ الواحدُ آياتٍ بيِّناتٍ على هذا الوجه، وعلى هذا الوجه تقديرُه: فيه آياتٌ بيناتٌ هي مقامُ إبراهيم....

---

(١) في نسخة: «يكبرن».

ـ وعند تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] قال: قال الكسائيُّ: الباء بمعنى (عن)، كما في قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ومعناه: سأل هذا الكافر عن العذاب بمن يقع؟ فقال الله تعالى: ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

ـ ونقل كلاماً حسناً للقفَّال في تفسير: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ..﴾ [التوبة: ٢٤]، فقال: وقال القفَّال: قطَع وجوهَ العُذر بهذا التعديد والبسطِ من الكلام، فلم يُجِزْ تركَ الهجرة والجهاد في سبيل الله للميل إلى الشيء من الأسباب المميلة، ولم يجعل ما يَثقُل على الإنسان فراقُه من أبٍ بَرٍّ، وابنٍ يَتزيَّن به، وأخٍ يَعتضِد بمعونته، وزوجةٍ يَسكن إلى صحبتها وإلْفِها وخدمتها، وعشيرةٍ يَتعزَّز بهم، ويَستعين على دفع الـمُلِمَّات بنُصرتهم، وأموالٍ مكتسَبة قد استَنفذَ في تحصيلها الوُسع، وأنفق على جمعها العُمر، وتجشَّم على حملها الأسفار، وخاف عليها الضَّيَاع بالغيبة عنها، وتجارةٍ قائمةٍ يرجو حصولَ أرباحها، ومنازلَ قائمةٍ عامرةٍ نزهةٍ مألوفةٍ يتحصَّن فيها من أذى البرد والحر، وأَعدَّ فيها مواضعَ للشتاء والصيف= حجةً في مخالفةِ ما أمر الله تعالى من الهجرة وجهادِ الكفار، وأَخبر أنَّ مَن آثَرَ طاعة الشيطان على طاعة الرحمن فليستعدَّ لنزول أمر الله، فإنه ينزل به ما لا مَدفَعَ له ولا اعتصامَ منه بنصرةِ قرابةٍ أو عشيرة، ولا يتحصَّن بمساكنَ حَريزة، ولْيَعلمْ أن الله لا يُرشد الفاسقين المستخفِّين بدِينه إلى صوابٍ في تدبيره، ولا يهديهم إلى طريقِ رضوانه ورحمته ما داموا على اختيارِ مخالفته.

ـ وعن نفطويه نقل في معنى الغي في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] قوله: هو الجهل.

وفي معنى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦] قوله: أي: ذو رأيٍ مُحْكَمٍ.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] قولَه: أردتُ أمراً فضلَلْتُ عنه.

وفي معنى: ﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ [سبأ: ٤٨] قولَه: أي: يلقي الحقَّ في قلبِ مَن يشاءُ وعلى لسانه.

ـ وعن قطرب في قوله: ﴿نَفَشَتْ﴾ [الأنبياء: ٧٨] قال: إذا تفرَّقت بلا راعٍ، ومنه: (العهن المنفوش)؛ أي: المتفرِّق.

وفي قوله: ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾: قال قطربٌ: زلزلةً وكسراً.

ـ ونقل أيضاً الكثيرَ من كلام الكلبي الذي لم نجده في المطبوعات؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢] قال: قال الكلبي: أي: انتظِروا هلاكنا فإنَّا ننتظر هلاككم.

ـ ونقل عن النَّضْر بن شُميلٍ في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠] قولَه: أي: لا يَنقصُ كما ينقص ظلُّ الدُّنيا.

ـ وعن أبي سعيد الضَّريرِ في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ قوله: ﴿وَحِيدًا﴾؛ أي: لا أبَ له، وهو في معنى قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾؛ أي: دَعِي.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَعَدَدَهُۥ﴾ عدَّد المؤلِّف ما فيه من الأقوال فقال:

وقال محمد بن كعب: يقول: هذا لي وهذا لي.

وقيل: ﴿وَعَدَدَهُۥ﴾؛ أي: كثَّره؛ يقال: هذا مال له عددٌ؛ أي: كثرةٌ، و: في بني فلان عددٌ؛ أي: كثرة.

وقال أبو معاذ: ﴿وَعَدَدَهُۥ﴾؛ أي: هيَّأه للوجود، هذا لكذا وهذا لكذا، من العُدَّة بمعنى: أعدَّه وأَرصده.

وقال الأخفش: وعدَّده للدهور، وأعدَّ وعدَّد واحد، كقولهم: أَجَدَّ وجَدَّدَ، وأَحَدَّ وحدَّد.

ثم ختم ذلك بقوله: وهذا كلُّه دلالةُ الإمساك، كقوله: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨].

ـ ومن روائع نقله ما ذكره في تفسير ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ عن أبي زيد البلخيِّ[1] من قوله: الصمد: هو الذي يُصمد إليه تعظيماً له ورغبةً فيه، ووقوعُ هذا الاسم على مَن تعظَّم من البشر إنما هو على الاستعارة؛ لأنه ليس أحدٌ من المخلوقين وإنْ عظُم شأنُه وعلتْ رتبتُه إلا وهو موصوفٌ بالنقص، عاجزٌ عن إبلاغ مَن يَصمد إليه غايةَ أمله، فالصمدُ في الحقيقة مَن هو ملجأُ كلِّ مستغيثٍ به في نوازله، ومَن بيده ناصيةُ كلِّ من خليقته، ومِن أجلِ جلالة هذا الاسم جعله الله تعالى مقروناً بلفظةِ ﴿أَحَدٌ﴾ الدالةِ على حقيقة الوحدانية؛ ليدلَّ بأحد الاسمين على أن الموصوف به هو مَن لا نظيرَ له ولا شبيه إذ له الوحدةُ المحضَة، ويدلَّ بالاسم الآخر على أن مِن الواجب إذ كانت الوحدانيةُ بالحقيقة له، وكان مبدعَ الكلِّ وحافظَه ومدبِّره، أن لا يُصمد بالعبادة والتعظيم والرغبة والرهبة غيرُه، فاجتمعَ في لفظي الأحدِ والصَّمدِ وما يتبعهما من نفي صفاتِ الحدوث ووجودِ مثيلٍ له وشبيهٍ له ـ وهو قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ـ ما يستحقُّه من صفات الألوهية والربوبية، ومن أجلِ عظيمِ شأنِ هذه الكلمات الموجودةِ في هذه السورة صارت من أشرفِ سور القرآن في توحيد الله وتمجيده، ولذلك سُميت سورةَ الإخلاص، كلُّ هذا كلام أبي زيد.

ثم نقل عن بعض أهل العلم قوله في تفسير سورة الصمد: إن هذه السورةَ يفسِّر بعضُها بعضاً، إذا قيل: مَن هو؟ فجوابه: ﴿ٱللَّهُ﴾، مَن اللهُ؟ ﴿أَحَدٌ﴾ مَن الأحد؟

---

(١) هو أحمد بن سهل، أحد الكبار الأفذاذ من علماء الإسلام، وستأتي ترجمته في الكتاب.

﴿ٱلصَّمَدُ﴾ مَن الصمد؟ ﴿الذي لم يلد ولم يولد﴾ مَن الذي لم يلد ولم يولد؟ ﴿الذي لم يكن له كفوا أحد﴾.

وقد يذكر أحياناً أقوالاً تخالفُ ما ذهب إليه جميعُ المفسِّرين لكنها جديرةٌ بالتأمُّل:

ـ فمِن ذلك ما ذكَره في تفسير قولهِ تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ قال: وقيل: هم عبادُ الخِلقة، وهم الكفار ﴿يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: كلمة التوحيد ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ يحملُهم على الشرك ويُغري بينهم وبين المؤمنين بالعداوة ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ فإنْ علم منكم توبةً باستماعكم مواعظَ الله وعملِكم بها رَحِمَكم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ مسلَّطاً مكرِهاً على الإيمان، إنما عليك الإنذار.

ففسَّر العبادَ بالكفار، وبنَى عليه تفسيرَ باقي الآية، بينما كلُّ الأقوالِ الأخرى تجعلُها في المؤمنين.

وهذا كلُّه لم نجدْ منه شيئاً فيما توفَّر من مصادرَ، وهو ليس سوى غيضٍ من فيضٍ؛ كما سنرَى في هذا الكتاب إن شاء الله.

٥ ـ كثرة ما فيه من أقوال تفسيرية وفوائدَ ونكاتٍ خاصةٍ بالمؤلف:

فقد كان للمؤلِّف كثيرٌ من النَّظرات والنِّكاتِ التي تفوَّق فيها على غيره من المفسِّرين: ـ فانظُرْ مثلاً لروعةِ تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] حيث قال: أي: وسُهِّلَ لهم اجتناء ثمرها كيف شاؤوا؛ متَّكئين وقاعدين وقائمين، وهذا من عجيبِ الاختصار؛ لأنَّ فيه نزولَ العنقودِ إلى الفمِ والإنسانُ قاعدٌ، وارتفاعَه إليه وهو قائمٌ، وزوالَ امتناعهِ عليه في كلِّ حالٍ من أحواله ببُعدٍ أو مانعٍ مِن شوكٍ أو غيره.

لم أجدْ مَن شرَحها هذا الشرحَ ووضَّحها هذا التوضيحَ البليغ، ومَن يراجِعْ قولَ الزمخشريِّ مثلاً ـ وهو صاحبُ الباع في مثلِ هذا ـ في تفسيرها ويقارِنْ بينهما يَظهرْ له الفرقُ في التعبير، وفي حسنِ البيانِ والتصوير، فقد قال الزمخشري: وتذليلُ القطوف: أن تُجعلَ ذللاً لا تمتنعُ على قطَّافها كيف شاءوا، أو تجعلَ ذليلةً لهم خاضعةً متقاصِرة، من قولهم: حائط ذليلٌ؛ إذا كان قصيراً.

ـ ومثلُ هذا قولُه في تفسير: ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١]: أي: لم يثبِّطوا غيرَهم من الموسِرين والأصحَّاءِ عن الخروج، ولم يوهِموهم أن قعودهم كان لجواز التخلُّف لكلِّ مَن أراده، بل بيَّنوا سببَ تخلُّفهم، وحرَّضوا القادرين عليه، وقاموا بأسبابهم عند خروجِهم وأسبابِ مَن خلَّفوهم بالمعونة.

فهذا المعنى الذي ذكره لم أجدْ أحداً من أهل التفسير والمعاني ذكَره ولا ما يقاربُه في الحُسن وإصابةِ الـمَحَزِّ، اللهمَّ إلا ابنَ كمالِ باشا الذي في الحقيقةِ نقَلَه عن المؤلِّف.

ـ وانظرْ ما أروعَ شرحَه لقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧] فقد قال في التفريق بين التجارة والبيع: لا تَشغلُهم تجارة؛ أي: بالأسفار في الأمصار ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾؛ أي: في الأسواق في الحوانيت، وحملناهما على هذين لتكون لزيادة إفادةٍ لا لمجرَّد إعادة.

قلت: وهذا التفريق بينهما لم أجد أحداً من المفسرين قد انتبه إليه أو نبَّه عليه.

ـ ثم قال في تفسير باقي الآية: ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: أي: خارج الصلاة ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: وعن إقامةِ الصلاة في وقتِ الصلاة ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾: أي: وعن إيتاءِ الزكاة. بيَّن أنهم ليسوا بزَمْنَى لا أبدانَ لهم، ولا فقراءَ لا أموالَ لهم؛ ليكون لهجُهم

بالذكر لعجزهم وفقرهم، بل قال: لهم أبدانٌ يقيمون الصلاة بها، وأموالٌ يؤدُّون الزكاة عنها، ثم لا يَشغلُهم ذلك عن خدمة الله تعالى وذكرِه.

وهذه الحكمةُ التي ذكرها مِن قَرْن إقامةِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة بذكرِ الله لم أجدْها عند أحدٍ من المفسِّرين.

ـ ومِن ذلك كلامه في الحكمة من ختم قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البروج: ٨ ـ ٩] حيث وَرَد في الآية كونُه عزيزاً حميداً ملكاً دون غيرها من صفاته تعالى، فقال المؤلِّف في تعليل تخصيص هذه الصفات: ﴿الْعَزِيزِ﴾ صفة لـ﴿اللَّهِ﴾ تعالى، وهو المنيعُ الذي لا يُغْلَب، ﴿الْحَمِيدِ﴾ بحمدِ المؤمنين، وفي عقول جميع المكلَّفين، والمستحِقُّ للحمد على الحقيقة ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

ثم قال: وأشار بهذا كلِّه إلى أنَّه لو شاءَ لمنعَهم عن ذلك، لكن لم يمنع محنةً لأوليائه.

فهذه الحكمةُ من تخصيصِ تلك الصفاتِ التي ختَم بها لم أجد مَن تنبَّه لها ممَّن تكلَّم في تفسير الآيةِ، ومنهم الزمخشريُّ الذي قال فيها: وذكَرَ الأوصافَ التي يَستحقُّ بها أن يُؤْمَنَ به ويُعْبَدَ، وهو كونُه عزيزاً غالباً قادراً يُخشَى عقابُه، حميداً منعِماً يجب له الحمدُ على نعمته ويُرجى ثوابه، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فكلُّ مَن فيهما تحقُّ عليه عبادتُه والخشوعُ له.

وهذا الذي ذكره الزمخشريُّ كلامٌ حسنٌ لكنه غيرُ كافٍ في تعليلِ التخصيصِ بتلك الصفات، فإنه ينطبِقُ على كلِّ صفات الله وأسمائه.

ـ ومن شروحِه الحسنةِ ما جاء في تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] مِن شرحِهِ لقول ابن عباس: إلا لِيُقِرُّوا لي بالعُبوديَّةِ طَوْعاً أو كَرْهاً.

ثم عقَّبه بقوله شارحاً له: يعني: أنَّ المؤمنين يُقِرُّون له طَوْعاً، والكافرون يُقِرُّون له بما جبَلَهم عليه مِن الخِلْقَة الدَّالَّة على وحدانيَّةِ الله تعالى، وانفرادِه بالخَلْقِ، واستحقاقِ العبادةِ دون غيرِه، فالخَلْقُ كلُّهم بهذا له عابِدون، وعلى هذا قولُه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقولُه تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقولُه: ﴿بَلْ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ على معنى: ما يُوجَدُ منهم مِن دلائلِ الحُدوثِ المُوجِبَةِ لكونها مَرْبُوبةً مَخْلُوقةً مُسَخَّرةً.

وكلُّ هذا الذي ذكَرْناه ليس على سبيلِ الحصر، بل للتدليلِ والبيان، فكلُّ الكتابِ على هذا النَّحو.

٦ ـ ومما تميَّز به هذا التفسير أيضا: الإيجازُ في البيان، مع متانةِ العبارة، وجمالِ الإشارة، والوصول إلى توضيحِ المعنى بأسهلِ الطرق وأقربها لنفس المتلقِّي:

ـ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦] قال المؤلِّف على لسان السحرة: وهذا ممَّا لا يُعاب، بل ثَبَت له الإيجاب، ولا يجوزُ لنا عنه الانقلاب، فلا سبيلَ إلى إرضائكَ فقد استَسْلَمنا.

ـ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١] قال: أي: أَمِتْني على الإسلام.

قيل: لَمَّا انتظمَتْ أسبابُه واطَّردَتْ أحوالُه اشتاقَ إلى ربِّه.

وقيل: لَمَّا رأى أمرَه على الكمال، علمَ أنَّه أشرفَ على الزَّوال، سألَ سعادةَ الانتقالِ، قال قائلُهم:

إذا تـــمَّ أمـــرٌ دنـــا نقصُـــهُ توقَّـــعْ زوالًا إذا قِيْـــلَ تَـــمّ

ـ ومثله قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الحديد: ٢٠] قال في معناه: ﴿لَعِبٌ﴾ كلعبِ الصِّبيان، ﴿وَلَهْوٌ﴾ كلهو الفتيان، ﴿وَزِينَةٌ﴾ كزينة النِّسوان، ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ كتفاخر الأقران، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ كتكاثر الدِّهْقان.

٧ ـ **ومما تميز به هذا التفسير أيضاً: أنه لا ينقل الأقوال نقلاً حرفيًّا بل يَطبعُ ما ينقله بأسلوبه ويلوِّنه بفكره.**

وأكثر ما رأيتُ هذا في نقله عن «تأويلات أهل السنة» للماتُرِيديِّ و«لطائف الإشارات» للقشيريِّ، وهما أكثرُ مصدرين نقَل عنهما المؤلف ورافَقاه من أولِ التفسير حتى آخِره:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأعراف: ٧٠] قال المؤلف: وقال القشيريُّ: إنهم طاحُوا في أوديةِ التفرقة، واستَطابوا صحبةَ الأغيار، فشَقَّ عليهم حين طُولبوا بهجرانِ العادةِ والقرارِ في ساحاتِ التوحيد حتى قالوا ما قالوا.

ولفظ القشيري: (طاحوا في أودية التفرقة فلم يجدوا قراراً في ساحات التوحيد، فشقَّ عليهم الإعراض عن الأغيار)[1].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٧٥] قال: وقال القشيري رحمه الله: استكثَرَ القليلَ من عباده فعدَّد أفعالهم في آيات، واستقلَّ الكثيرَ من نفسه فعدَّ الجنة بما فيها على كثرتها غرفةً.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (١/ ٥٤٥).

وعبارة القشيري: (يُعطي سبحانه الكثيرَ من عطائه ويَعدُّه قليلاً، ويَقبل اليسيرَ من طاعةِ العبد ويَعُدُّه كثيراً عظيماً، يعطيهم الجنةَ قصوراً وحوراً ثم يقولُ: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾، ويقبلُ اليسيرَ من العبد فيقولُ: ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦])[1].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣] نقل عن القشيري قوله: وقيل: مَن حاسبَه بكتابه وجد كلَّ زلَّةٍ ومَهلكةٍ، ومَن حاسبَه بكتابِ نفسِه ففي كتابه سبحانه: ﴿الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، فالواجبُ على العبد أن يبتهِلَ في دعائه فيقولَ: اللهمَّ حاسِبْني بكتابك على ما قلتَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] لا بكتابي فإنه مشتمِل على القبائح والفضائح.

وعبارة القشيري: (ويقال: مَن حاسبَه بكتابه فكتابُه ملازمه في حسابه، فيقول: ربِّ، لا تحاسبني بكتابي، ولكن حاسبني بما قلتَ: إنَّك ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣] لا تعاملني بمقتضَى كتابي ففيه بواري وهلاكي)[2].

ـ وفي أواخر تفسير الفاتحة قال المؤلِّف: وقولُه عليه السلام في حديث القِسمة: «هذا بيني وبينَ عَبْدي نصفَين»[3]، أشار الإمامُ أبو منصورٍ رحمه الله إلى معنيَين فيه:

أحدُهما: أن يكون كلُّ واحدٍ منهما بينَ اللهِ وعبدِه، العبادةُ من العبدِ وهي للهِ تعالى، والاستعانةُ فعلُ العبد وهي طلبُه من الله تعالى.

---

(١) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٦٥٢).

(٢) انظر: «لطائف الإشارات» (٢/ ٣٤٠).

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والثاني: أن العبادةَ من العبدِ للهِ تعالى، والمعونةَ من اللهِ تعالى للعبد، وهذا أظهرُ؛ لأنه قال في بقية السورة: «هذا لعَبْدي ولعَبْدي ما سَأل»[1] لمَّا كان نفعُ الهدايةِ للعبد جعَله للعبد، فكذلك نَفْعُ المعونة[2].

فهذا ما ذكره المؤلف، أما قول الماتريدي في «تأويلات أهل السنة»: (وقد رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال في خبر القسمة: «اللهُ يقول: هذا بَيني وبينَ عبدي نِصْفين»، وذلك يحتملُ: أن يكون كلُّ حرفٍ من ذلك، بما فيها جميعًا الفزعُ إلى الله بالعبادة والاستعانةِ ورفعِ الحاجة إليه، وإظهارِ غناه ـ جلَّ وعلا ـ عنه؛ فيتضمَّنُ ذلك الثناءَ عليه، وطلبَ الحاجةِ إليه.

ويحتمل: أن يكون الحرفُ الأَولُ للهِ بما فيه عبادتُه وتوحيدهُ، والثاني للعبدِ بما فيه طلبُ معونته وقضاءُ حاجته، ويؤيِّدُ ذلك بقيةُ السورة أنه أُخرج على الدعاء فقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل».).

وعلى هذا يقاسُ أغلبُ ما نقله المؤلف في تفسيره عمَّن تقدَّمه من العلماء.

٨ ـ وأخيراً فإن مِن أهم ما يميِّز هذا التفسيرَ هو أن مؤلِّفَه ليس مجردَ ناقلٍ لِمَا سطَّره مَن قبلَه أو روَوْه، ولا حاطبِ ليلٍ همُّه التجميعُ دون التحقيق، بل هو من العلماء المحقِّقين المدقِّقين الذين لهم رأيٌ وحضورٌ فيما ينقلونه أو يَروونه:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١] نقل قولَ بعضهم في معناه: احبِسْه. ثم قولَ عطاءٍ الخراسانيِّ: أخِّره.

ثم قال عن الثاني: وهو الأصحُّ؛ لأنه لم يَثبت أنه حبَسهما، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿فَٱجْعَل بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾ [طه: ٥٨].

---

(١) قطعة من الحديث السابق.

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١/ ٣٦٥)، وفي نقل المؤلف شيء من التصرف.

فهو لم يَكتفِ بالترجيح، بل علَّل سببَه وبيَّن مأخذَه.

ـ ويظهرُ ذلك جليًّا في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] حيث نقل عن مقاتلٍ: كان من مدينةِ بلقاءَ، وسُميت بلقاءَ لأن رجلاً ملَكها يقال له: بالقٌ، وكان من قصته: أنَّ موسى عليه السلام أراد أن يغزوَ ملكاً، فقال الملِك لبلعم: إن موسى رجلٌ حديدٌ، ومعه جندٌ كثير، فإنْ ظَهَر علينا أهلَكَنا، فادْعُ اللهَ ـ تعالى ـ أن يردَّه عنَّا، فقال: إنْ فعلتُ ذلك ذهبتْ دنياي وآخرتي، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، قالوا: فوقَعَ موسى وبنو إسرائيلَ في التِّيه بدعائه، فلمَّا انقضتِ المحنةُ قال موسى: يا ربِّ! بأيِّ ذنب وقعتْ لنا هذه المحنة؟ قال: بدعاء بلعم، قال: فكما سمعتَ دعاءه عليَّ فاسمعْ دعائي عليه، فدعا موسى عليه فسلَخه الله مما كان عليه، ونزعَ منه معرفته فخرجتْ من صدره كحمامةٍ بيضاءَ، وذلك قولُه ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾.

ثم تعقَّبه بقوله: وهذا كلامٌ مختلٌّ، واحتباسُهم في التِّيه كان بقولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] لا بدعاء بلعم، وكيف يُستجاب دعاءُ بلعم وقد انسلخ من الآيات؟! ولأنه قد دعا على موسى وقومَه بالباطل، وكيف دعا موسى على بلعم بزوال الإيمان وكان مبعوثاً إلى الناس ليدعوَهم إلى الإيمان؟!

ـ وفي قوله تعالى: ﴿أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم: ٥٩] ذكر قول القُرظيِّ: تركوها.

ثم ذكر ما روي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: أخَّروها عن وقتها.

ثم أعقب القولين بقوله مرجِّحاً: الصحيحُ الأول، فإنه في حقِّ الكفار، بدليلِ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [مريم: ٦٠] فاستثنى المؤمنين منهم، فدلَّ أن المستثنَى منهم هم الكفار.

ـ وفي قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥٓ﴾ [مريم: ٦١] قال: أي: موعودُه ﴿مَأْتِيًّا﴾؛ أي: يأتيه الموعودُ له ويبلغه.

ثم قال: ومَن جعله بمعنى الآتي فهو خلافُ الوضع، وما قُلناه أحسنُ؛ لأنه مراعاةُ الوضع، وما أتاكَ فقد أَتيتَه.

ـ ومن أعظم مظاهر تحقيقه وتمحيصِه ردُّه لقصة الغرانيق التي يذكرها المفسِّرون عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، حيث أبطلَها بردودٍ غايةٍ في الإفحام والصحَّة وقوَّةِ الحجة.

ـ وكذا عرضُه لقصة طلاقِ زينبَ بنتِ جحشٍ رضي الله عنها وزواجِ النبيِّ ﷺ منها في سورة الأحزاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٧ ـ ٣٩] فساق القصة بأحسنِ سياقٍ وأنزهِ معنًى، خاتماً إياه بقوله: وقد تكلَّم الناس في الآية بوجوهٍ وهذا أقومُها وأسلمُها.

قلتُ: وهو كما قال، فإنَّ ما ذكَره ـ رحمه الله ـ هو السياقُ الذي عليه المحقِّقون من العلماء، وهو الذي مدَحه القرطبيُّ ونقَل عن علمائه قولَهم: وهذا القولُ أحسنُ ما قيلَ في تأويلِ هذه الآية، وهو الذي عليه أهلُ التَّحقيقِ من المفسِّرين

والعلماءِ الراسخين كالزُّهريِّ، والقاضي بكرِ بنِ العلاءِ القشيريِّ، والقاضي أبي بكرِ بنِ العربيِّ وغيرِهم[1].

ـ ولعل من أجملِ تحقيقاته: استدلالُه على أن الذبيح إسماعيلَ بما يظهر منه قوةُ عقلِه وحُسنُ استنباطه وفهمِه، وذلك في قوله تعالى في سورة هود: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فقال: ودلَّت الآيةُ أنَّ الذَّبيح هو إسماعيل، فإنَّ الله تعالى بشَّر إبراهيم عليه السَّلام بأن يكون لإسحاق ولدٌ، وكان يعلمُ أنَّه لا يموت حتَّى يُولَد له ذلك، فلا يكون على هذا في الأمرِ بذبح هذا الولد امتحانٌ؛ إذ يَعلمُ أنَّه لا يتحقَّق فيه الذَّبح للحال، فتعيَّن للابتلاء الولد الآخر؛ وهو إسماعيل.

ـ وكذا استدلاله أن زوجاته ﷺ من أهل بيته من قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]، حيث قال: وفيه ردٌّ على مَن أنكرَ مِن الرَّافضة أنْ يكونَ أزواجُ النبيِّ ﷺ مِن أهلِ البيت في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ٨٣] قال: أي: مِن مُتَّبِعيه ـ يعني: نوحاً ـ إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلامُ.

ثم ذكر عن الفرَّاء قوله: وإنَّ مِن شيعةِ محمَّدٍ لَإبراهيمَ.

وتعقَّبه بقوله: وفيه بُعْدٌ.

ـ ومن ذلك ما نقلَه عند تفسيرِ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ [آل عمران: ٤٠] عن الكلبيِّ من أنَّ قوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ هذا خطابٌ منه لجبريل عليه السَّلام، ومعناه: يا سيِّدي.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٥٧)، وانظر: «المفهم» (١/ ٤٠٦) لأبي العباس القرطبي شيخ المفسر، وهو المراد بقوله: قال علماؤنا.

ثم تعقَّبه فقال: وقال عامةُ المفسِّرين وهو الصحيحُ: هذا خطابٌ منه لله تعالى ومناجاةٌ معه؛ لأن جبريل عليه الصلاة والسلام بشَّره من الله تعالى، فخاطَب به اللهَ تعالى، ودعا اللهَ الولدَ فاستجابَ له.

ـ ونحوه في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١] قال: وما قال مقاتلٌ وقتادةُ والرَّبيعُ بن أنس: إنَّ ذلك كان عقوبةً له حيث سألَ الآيةَ بعد البشارةِ، فذلك باطلٌ، ولا يليق بحال الأنبياء، ولم يكن سؤالُه جنايةً، ولا منعُه عن الكلام عقوبةً؛ لِمَا قلنا: إنَّ سؤالَه لماذا كان، ومنعُه عن كلام النَّاس مع شَغلِه بذكرِ اللهِ تعالى أعظمُ الكرامات وأرفعُ الدَّرجات.

وقريبٌ من هذا عنايتُه بحلِّ الإشكالات، والإجابةِ عمَّا يُتوهَّم فيه التناقُض:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦] قال: ثم في الآيتين نفيُ العلم عنهم بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وإثباتُ العلم لهم بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، ولا تناقُضَ فيه، فإن الأول نفيُ العلم بأمور الدِّين، والثاني ثبوتُ العلم بأمور الدنيا، ولأن الأول نفيُ الانتفاع بالعلم بما ينبغي، والثاني صرفُ العلم إلى ما لا ينبغي، ومن العلم القاصر أن يهيِّئ الإنسان أمورَ شتائه في صيفه وأمورَ صيفه في شتائه وهو لا يَتيقَّن بوصوله إلى ذلك الوقت، ويقصِّرَ في الدنيا في إصلاح أمور معاده ولا بد له منها.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧] قال: ثم الجمعُ بين الأمرين وأحدُهما مكروهٌ والآخرُ محبوب ـ والمذكور في صدر الكلام هو العصمة ـ يُشْكِل بظاهره، لكنْ تقديرُه في الثاني: ومَن يمنعِ اللهَ مِن أن يرحمَكم إن أراد بكم رحمة.

فانظر إلى هذه الدقيقة كيف لاحظها، ثم كيف حلَّها بأسلوبه الواضح البسيط.

ـ ومما يدلُّ على دقَّته وبُعدِ نظره أيضاً ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ [آل عمران: ٣٤ ـ ٣٥] فقال: وقيل: ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ﴾؛ فهو ﴿سَمِيعٌ﴾ لمقالتها ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّتها.

فالمؤلِّف عَلِم أن سائلاً سيسأل: اللهُ سميعٌ عليمٌ دوماً، فكيف قيَّدْتَ سمعَه وعلمَه بوقتِ قولها؟ فأجاب بما يعلِّل كلامه ويردُّ السؤال.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] ذكَر قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] ثم قال: ولا تُعارض هذه الآيةُ تلك الآيةَ؛ لأن عزَّ الرسول والمؤمنين بإعزازِ الله، فله العزةُ جميعاً على الحقيقة.

ـ وانظرْ لهذه الدَّقيقةِ وحُسنِ حلِّها في قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٩ ـ ٢٠] قال: وإنَّما قال: ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾، وقد طاف الطَّائف ليلًا؛ لأنَّ معناه: فنظروا إليها صباحًا، فصارَت لهم كجنَّةٍ قد صُرِمَتْ ثمارُها، وكأرضٍ قد حُصِدَ زرعُها.

ـ ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿لَنَبِذَۢ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [القلم: ٤٩] قال: أي: لأُلقيَ بالأرض العارية عن النَّبات والبناء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ بزلَّته.

قال: وقد مرَّ في آية أخرى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [الصافات: ١٤٥]؛ أي: ألقاه الحوت.

قال: ولا تختلف الآيتان لوجهين:

أحدهما: أنَّ الأوَّل ليس بمطلَقِ النبذ، بل لنبذِه مذمومًا ولم يكن كذلك، وفي الثَّاني نبذَه بالعراء وقد كان محمودًا، وأرسلَه إلى مئة ألفٍ أو يزيدون.

والثَّاني: ﴿لَنُبَذَنَّ بِٱلْعَرَآءِ﴾؛ أي: لبقيَ في بطن حوته إلى يوم القيامة، ثم أُلقي في عراءِ عرصةِ القيامة حين يُحشر النَّاس، ولكنْ منَّ الله تعالى عليه فنبذَه بعراء الدُّنيا، وهو كقوله: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٤].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] قال: قيل له: ﴿فَٱعْلَمْ﴾، ولم يقل: (عَلِمْتُ)، وإبراهيم قيل له: ﴿أَسْلِمْ﴾، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [البقرة: ١٣١]، وجوابُه مِن وجوه:

منها: أنَّ إبراهيم قال: ﴿أَسْلَمْتُ﴾، فابتُلِيَ، ومحمد ﷺ لم يقل: (عَلِمْتُ)، فعُوفِيَ.

وقيل: إنَّ إبراهيم سبَقَ، فذُكِرَ جوابُه في الكتاب المُنَزَّل بعده، ولم يَنْزِلْ بعد القرآن كتابٌ آخرُ يُذكَرُ فيه جوابُ محمد.

وقيل: التَّسليمُ مُتَناهٍ، فيُمكِنُ الإخبارُ عنه، والعِلْمُ لا يتناهى، فلا يُمكنُ الإخبارُ عنه.

وقيل: إنَّ إبراهيم هو قال بنفْسِه: ﴿أَسْلَمْتُ﴾، واللهُ تعالى أخبرَ عن محمد ﷺ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وهو إخبارٌ عن عِلْمه وزيادةٌ، وإخبارُ اللهِ تعالى عنه أعلى مِن جوابه بنفْسِه.

ـ ومنه قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧] قال: وهذا قسَمٌ، ورُؤْيا الأنبياءِ وحيٌ[1] لا خَطأَ فيه، وخبرٌ لا كَذِبَ فيه، والقسَمُ تأكيدٌ لا وَهْنَ فيه، ثم قال: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ وهو في كلامِنا يُذْكَرُ فيما يكون ولا يكون، فما معناه مع ما سبق؟ وجوابُه من وجوه:

---

(١) في نسخة: «حق».

أحدُهـا: أنَّ مَلَـكَ الرُّؤْيـا خاطبَـه فـي الرُّؤْيـا بذلـك إطْماعـاً، فنـزَلَ الكتـابُ بذلـك إسـماعاً.

والثَّاني: أنه تحقيقٌ لا تعليق، وتقديرُه: لَتَدْخُلُنَّه بإدخال الله، وهو بمشيئتِه وإرادتِه، لا مُعْتَرِضَ عليه، ولا مُنازِعَ له، ولا مانِعَ دونه.

والثَّالثُ: أنَّ اللهَ علِمَ أنَّ بعضَهم يموتُ قَبْلَ ذلك.

والرَّابعُ: أنَّه على قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾، لا على قوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾، فكان الدُّخولُ مَوْعوداً مُتَحَقِّقاً، وكان الأمانُ عند ذلك مَوْعوداً مُعَلَّقاً.

والخامسُ: أنَّ معناه: إذ شاء اللهُ؛ كما قال: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]؛ أي: إذ كنتم.

فهذا ما هدانا الله سبحانه إليه من بيانِ بعضِ ما تميَّز به هذا السِّفرُ الكريم، ومَن يبحِرْ فيه بفكره ويتأمَّلْ بعقله يجدْ أكثرَ منه بكثير، كما سياتي لاحقاً من بيان منهج المؤلف في هذا التفسير.

***

رابعاً: بيان منهج المؤلف الذي سلكه في تأليف تفسيره

هذا كتابٌ فريدٌ مفيد، دقيقٌ أنيق، زاخرٌ بالفوائدِ والنِّكات، حسَنُ الترتيب، متقَنُ التأليف، قد جمع فنونَ التفسير، وسلَك فيه مؤلِّفُه طريقةً واحدةً من أولِ سورةٍ وحتى الأخيرةِ، فهو يبدأُ في كلِّ سورةٍ بمقدِّمة تتناسَبُ مع ما سيردُ فيها من مواضيع:

ـ فسورةُ البقرة بدأ تفسيرَها بقوله: بسم الله الذي أنزلَ الكتابَ بلا ريب، الرحمنِ الذي لَطَف بالمؤمنين المتَّقين بالغيب، الرحيمِ الذي مَنَّ على المقصِّرين بسَتر العيب.

ـ ومقدِّمةُ سورة الأنفال كانت: بسم الله الذي مِن عنده النصرُ وهو العزيز الحكيم، الرحمنِ الذي لم يعاجلْ بالعقوبة للقائلين: ﴿أَمطِرْ علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال: ٣٢]، الرحيمِ الذي وعد الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا بالمغفرةِ والرزقِ الكريم.

ـ ومقدِّمة الرحمن: بسمِ اللهِ الذي خلَقَ الإنسان، الرَّحمنِ الذي علَّمَ القرآن، الرَّحيمِ الذي جعلَ جزاءَ الإحسانِ الإحسانَ.

ـ ومقدِّمة الحاقة: بسم الله الذي أخذ الطَّاغين أخذةً رابِيَة، الرحمنِ الذي لا يخفَى عليه خافِيَة، الرحيمِ الذي وعد المؤمنين بجنَّةٍ عالية.

وهكذا جميعُ السور، ثم يَذكر نوعَ السورة من حيث المكيُّ والمدنيُّ، ثم عددَ آياتها فكلماتِها فحروفِها، ثم يذكر انتظامَ أولها بخاتمةِ التي قبلها، ثم انتظامَها كلِّها بمحتوَى سابقتِها.

وقد أطال بذلك في سورة البقرة وأبدعَ، فقد ذكر أنَّ انتظامها بالفاتحة حاصلٌ من سبعةِ أوجهٍ: بواحدٍ واثنينِ وثلاثةٍ وأربعةٍ وخمسةٍ وستةٍ وسبعةٍ.

فعدَّد هذه الأوجهَ مفصَّلةً، ونكتفي بما جاء في الوجه السابع، حيث قال:

وأمَّا السبعة: فالفاتحةُ سبعُ آياتٍ، وكلماتُ آياتها مذكورةٌ في سورة البقرة:

فـ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

و(اللهُ) في آياتٍ.

و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ في قوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

و﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فيه ذكرُ يوم القيامة، وفي سورة البقرة: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] وهي آخرُ آيةٍ نزلت، وهي أبلغُ آيةٍ نزلت في ذكر يومِ القيامة.

و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ في قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] ونحوِه.

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقولُه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقولُه: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقد أُريد به الأنبياء صلوات الله عليهم، وذُكر من الأنبياءِ في سورة البقرة: آدمُ، وإبراهيمُ، وإسماعيلُ، وإسحاقُ، ويعقوبُ، والأسباطُ، وموسى، وهارونُ، وداودُ، وسليمانُ، وعيسى، وحِزقيلُ[1]، وأشموئيل[2]، وعزيرٌ، صلوات الله

---

(١) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] رواه الطبري عن وهب بن منبه وسيأتي.

(٢) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ [البقرة: ٢٤٦] قال ابن كمال باشا في «تفسيره»: اختلفوا فيه، والأشهر الأظهر أنه أشمويل من نسل هارون عليه السلام.

عليهم. وعلى العموم في قوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وفي قولهِ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقولُه: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ ذُكر الغضب في قوله: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والضلالُ في قولهِ: ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقولهِ تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] ثم هم اليهودُ والنصارى، وأكثر صدر السورة في ذكرهم، إلى أن قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٢٠].

وسنتناول في بيان منهج المؤلف ما يلي:

١ ـ أهم المصادر التي نقل منها.

٢ ـ تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

٣ ـ التفسير بالمأثور فيه.

٤ ـ ردوده على المذاهب الفاسدة.

٥ ـ منهجه في النحو.

٦ ـ منهجه في الفقه.

٧ ـ منهجه في القراءات.

٨ ـ تعامله مع الإسرائيليات.

١ ـ أهم المصادر التي نقل منها المؤلف:

هذا التفسيرُ هو من التفاسيرِ التي عُنِيتْ بالمعاني ولم تَخرُجْ عن مواضيعِ الآيات إلى مواضيعَ أخرى متَّصلةٍ بها سواءٌ كان ذلك الاتصالُ مباشراً أو غيرَ مباشرٍ، كما وقع فيه كثيرٌ من المفسِّرين الذين توسَّعوا في تفاسيرِهم على حسابِ تفسيرِ

الآيات، فخرَجوا عن التفسيرِ إلى مواضيعَ أخرى وتشعَّبوا فيها.

وقد انعكسَ هذا المنهجُ للمؤلِّف على المصادر التي استقَى منها، حيث اقتصَر رحمه الله في الغالب على كتبِ التفسير، بل على الأمَّهات منها، فنقل عنها بالتصريحِ أحياناً ودونَ ذلك في أحيانٍ أخرى، ومِن أكثرِ الكتب التي نقَل منها المؤلِّف:

١ ـ «تأويلات أهل السنة» لمحمدِ بنِ محمدِ بن محمودٍ، أبو منصورٍ الماتريديُّ ت (٣٣٣هـ): وقد أكثرَ من النقلِ عن هذا الكتابِ من البدايةِ وحتى النِّهايةِ، وهو في الغالِبِ يصرِّح بالنقلِ عنه، تارةً باسم المؤلف وتارةً باسم كتابه، وله احترامٌ خاصٌّ تُجاه الماتريديِّ، فكثيراً ما كان يصفُه بأوصافٍ تدلُّ على ذلك، فقد وصفَه مرةً بقوله: الشيخُ الإمامُ الزاهد أبو منصورٍ الماتريديُّ رحمه الله، وإن كان في الغالب يقتصرُ على وصفِه بالإمام، ولا يذكُرُه مجرَّداً عن ذلك الوصف.

٢ ـ «لطائف الإشارات» لعبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ بنِ عبدِ الملك القُشيريِّ (ت٤٦٥هـ): وهذا الكتاب كالذي قبلَه في كثرةِ النقلِ عنه واستمرارِه، وهو كذلك لا يذكُر مؤلِّفه إلا بنعتِ الإمام، وغالبُ ما ينقلُه عنه في خواتيم الآياتِ لبيانِ ما فيها من الإشارات.

٣ ـ «معاني القرآن» للفرَّاء: وهو يكثرُ من الرجوع إليه، وله اعتمادٌ كبيرٌ على أقواله.

٤ ـ «معاني القرآن» للزجَّاج: وهو من المراجعِ الدوَّارةِ في الكتاب أيضاً.

٥ ـ «مجاز القرآن» لأبي عبيدةَ مَعْمَرِ بن المثنَّى: وقد نقلَ عنه في مواضعَ كثيرةٍ جدًّا مصرِّحاً بذلك في الغالب.

٦ ـ «تفسير مقاتل بن سليمان»: قد أكثرَ المؤلِّفُ رحمهُ الله مِن ذكرِ أقوالِ مقاتلٍ،

وهي مذكورةٌ في «تفسير مقاتل بن سليمان» باختلافٍ يسيرٍ في الغالب، وسيأتي تفصيلٌ لهذا في هذه المقدِّمة.

٧ ـ «تفسير الثعلبي»: وهذا التفسيرُ من المراجعِ الأساسيةِ للمؤلِّف، وخصوصاً في الآثار، مع أنَّ المؤلِّفَ لم يصرِّح بالنقلِ عنه سوى في مواضعَ قليلةٍ جدًّا.

٨ ـ «تفسير الطبري»: وهو من المراجعِ الهامَّة لهذا التفسير، وقد صرَّح المؤلفُ بالنقلِ منه مراتٍ، وهو ينقلُ عنه بالإضافةِ للآثار أقوالَ الطبريِّ التفسيريةَ.

٩ ـ كتب الواحدي «البسيط» و«الوسيط» و«أسباب النزول»: وهي من المصادر التي نقَل عنها كثيراً، لكنه لم يصرِّح بالنقل عن الواحديِّ سوى مرةٍ واحدةٍ، وذلك في أوائل الكتاب في تفسير سورة الفاتحة حيث قال: وروَى الواحديُّ وهو عليُّ بنُ أحمد المفسِّرُ في «تفسيره» بإسنادِه عن أبي مَيْسَرةَ قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا بَرَزَ سمعَ منادياً يُناديه...، الحديث.

١٠ ـ تفسير السُّلميِّ المسمَّى «حقائق التأويل»: وهو من مصادر أقوالِ المتصوِّفةِ كأبي عثمانَ الحِيْريِّ، وابنِ عطاءٍ السكَنْدَريِّ، وفارسِ بنِ عيسى الصُّوفيِّ، ونقلَ عنه أيضاً بعضَ أقوالِ جعفرٍ الصادقِ، وقد صرَّح المؤلِّفُ مرةً بالنقل عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩]، لكنه سماه: «حقائق القرآن».

١١ ـ «تفسير أبي القاسم ابن حبيب»: وهذا التفسيرُ ليس من التفاسير المتوفِّرة، لكن المؤلِّف صرَّح بالنقل عنه مراتٍ مكتفياً أحياناً باسمِ المؤلِّف كما في تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ومصرِّحا بكليهما في أحيانٍ أخرى كما في تفسيرِ قولهِ تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

١٢ ـ تفسير أبي الليثِ السمرقنديِّ المسمَّى «بحر العلوم»: وكثيرٌ من الأخبار

التي ذكرها المؤلِّفُ موجودةٌ فيه، وقد صرَّح بالنقلِ عنه مرةً عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ فقال: وفي «تفسير الفقيه أبي الليث رحمه الله»: فحملت ذاتَ يومٍ حزمةَ شوكٍ..، الخبر.

١٣ ـ كتاب «عصمة الأنبياء» للشَّيخ أبي الحسين محمَّد بن يحيى البشاغريِّ: نقل عنه فأكثر في تفسيرِ سورةِ يوسفَ دون غيرها، مصرِّحاً بذلك.

١٤ ـ تفسير «المشافهات» لعليِّ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الحنظليِّ السمرقنديِّ: وقد صرَّح المؤلِّف بالنقلِ عنه مرَّات.

١٥ ـ «تأويل مشكل القرآن» و«غريب القرآن» كلاهما لابن قتيبة: وهو في نقله عنهما يصرِّح باسم المؤلِّف غالباً، دون الكتاب.

١٦ ـ «تفسير أبي بكر الفارسي»: أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أيوبَ الفارسيِّ الواعظِ المفسِّر، نقل عنه مرةً مصرِّحاً به عند تفسيرِ قوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

ومن كتبِ اللغةِ التي أكثرَ من النقلِ عنها:

١٧ ـ «العين» المنسوبُ للخليل بن أحمد: وينقل عنه بالتصريح دائماً. وهذا الكتاب يعدُّ أحدَ مصادرِه الأساسيَّة في المعاني اللُّغويَّة، هو والآتي بعدَه وهو:

١٨ ـ «معجم ديوان الأدب» لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي.

وقد أكثرَ من النقلِ عن الكسائيِّ وقطربٍ والأخفشِ ونِفْطويه وابنِ وهبٍ والحسينِ بن الفضلِ والقفَّال. ولهم جميعاً مؤلفاتٌ لكنَّ كتبَهم ليست بين أيدينا.

فهذه غالبُ المصادر التي نهَل منها المؤلِّفُ في هذا الكتاب، لكن ينبغي التنبيهُ إلى أنَّ ما نقله المؤلِّفُ عن هذه المصادر ليس سوى جزءٍ بسيطٍ من هذا التفسير، كما سيَظهرُ جليًّا من الفصل الآتي، وهو:

٢ ـ تفسير القرآن بالقرآن في هذا الكتاب.

التفسيرُ: هو البيان، قال ابنُ فارسٍ: الفاءُ والسِّينُ والراءُ كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحه[1].

فمعنى تفسيرِ القرآنِ بالقرآن إذاً: بيانُ القرآنِ بالقرآن.

وتفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ ليس محصوراً بالبيان اللَّفظي، بل هو مطلَقُ البيان، فمتى استَفَدْنا بيانَ آيةٍ مِن آيةٍ أخرى مِن أيِّ وجهٍ فهو داخلٌ في هذا النوعِ من التفسير.

ومعلومٌ أنَّ آياتِ القرآن الكريم يفسِّر بعضُها بعضاً، ويوضِّح بعضُها الآخرَ، فإنَّ القرآن الكريمَ قد اشتمَل على الإيجازِ والإطنابِ، والإجمالِ والتَّبيينِ، والإطلاقِ والتَّقييد، والعامِّ والخاصِّ، وما أُوجِزَ في موضعٍ بُسط في آخَرَ، وما أُجملَ في مكانٍ فصِّل في غيرِه، وما جاء مطلَقاً في آيةٍ قد يلحقُه التقييدُ في أخرى، وما كان عامًّا في مكانٍ قد يدخلُه التخصيصُ في مكانٍ آخرَ.

وكذلك نجدُ في قصصِ القرآنِ تأتي القصةُ في مكانٍ مختصرةً، ثمَّ تُفصَّل في موضعٍ آخَرَ، وقد يُذكَرُ في مكانٍ تفصيلٌ لا يُذكرُ في المكانِ الآخرِ، فعندما تُجمعُ المواضعُ التي عرَضت تلك القصةَ، وترتبطُ الأجزاءُ ببعضها، عند ذلك تكتمِلُ الصورة، وتصبحُ واضحةً لهذه القصَّة أو تلك.

فهذا هو تفسيرُ القرآن بالقرآن، لكنْ ليس هذا عملاً آليًّا لا يقومُ على شيءٍ من

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» (٤/ ٥٠٤).

النَّظر، وإنَّما هو عملٌ يقومُ على كثيرٍ من التدبُّرِ والتعقُّل، إذ ليس حملُ المجمَلِ على المبيَّن، أو المطلَقِ على المقيَّد، أو العامِّ على الخاصِّ، أو إحدى القراءتينِ على الأخرى، بالأمرِ الهيِّن الذى يَدخلُ تحت مقدورِ كلِّ إنسان، وإنما هو أمرٌ يَعرفه أهلُ العلم والنظرِ خاصةً[1].

ولقد عُني العلماءُ بتفسيرِ القرآنِ بالقرآن عنايةً كبيرةً، حتى عَدُّوه أصحَّ طرقِ التفسير، كما قال بعضهم: إن أصحَّ الطرقِ في التفسيرِ أنْ يفسَّر القرآنُ بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكانٍ فإنه قد فُسِّرَ في موضعٍ آخر، وما اخْتُصِر من مكانٍ فقد بُسِطَ في موضعٍ آخر.

لكن ينبغي التنبيهُ هنا على أنَّ تفسير القرآنِ بالقرآن ـ فيما عدا ما فسَّره النبيُّ ﷺ من ذلك ـ هو نوعٌ من أنواع التفسير بالرأي، فإنَّ عمليةَ التفسيرِ المعتمِدةَ على الفهمِ والاجتهاد بين الآيتين، والحكمَ بأنَّ إحداهما مبيِّنةٌ للأخرى، أو مفصِّلةٌ لمجمَلها، أو مطلِقةٌ لمقيَّدها، أو ناسخةٌ لحكمِها، إنما هو من قَبيلِ التفسيرِ بالرأي.

وثمةَ أمرٌ آخرُ لا بد من التنبيه عليه أيضاً: أن كونَ تفسيرَ القرآنِ بالقرآن عن طريقِ الاجتهادِ فقد يدخلُه الاختلاف؛ لِـمَا جُبِل عليه البشرُ من اختلافِ العقول، فالآيةُ التي يجتهدُ عالمٌ في تفسيرها بآيةٍ أخرى قد يجتهدُ غيرُه فيفسِّرها بغيرها.

وملاحظةٌ أخيرة: وهي أنه ليس كلُّ مَن حمَل آيةً على أخرى يُقبل قوله بحجةِ أنه من تفسيرِ القرآن بالقرآن، فإنَّ هذا الأسلوب قد يستعملُه أحياناً أهلُ البِدَعِ لتقريرِ بِدْعتِهم، كما فسَّر بعضُ المعتزلةِ قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] بأنها تنتظِر ثوابَ ربها، وينفُون رؤيةَ الباري، ويستشهدون لذلك

(١) انظر: «التفسير والمفسرون» (١/ ٣٣).

بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولولا قولُهم بعدمِ رؤيةِ الباري لَمَا حملوا هذه الآيةَ على تلك.

وممَّا ينبغي أن يُعلم أيضاً: أن تفسيرَ القرآن بالقرآنِ هو أحدُ طرقِ التفسير، وثمةَ طرقٌ أخرى لتفسيرِ القرآنِ منها التفسيرُ بالمأثور والتفسيرُ بالرأي، والمفسِّرون بشكلٍ عامٍّ يعتمِدون في تفاسيرهم جميعَ أنواعِ التفسير، وقلَّما يَقتصرُ تفسيرٌ على لونٍ واحدٍ، وعلى هذا فتفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ لا شكَّ موجودٌ في كلِّ التفاسير المعتبَرة عند أهلِ السُّنَّة والجماعة، وإنَّما الذي يختلِفُ هو نسبةُ اعتمادِ هذه الطريقةِ بالقياسِ إلى غيرِها مِن طرقِ التفسير، فابنُ كثيرٍ رحمه الله ـ مثلاً ـ وهو ممَّن أكثرَ من اعتمادِ هذه الطريقةِ في التفسير قد عُرف تفسيرُه من ناحية أخرى بأنه مِن أشهَرِ ما دوِّن في التفسيرِ بالمأثور.

وكذلك هذا التفسيرُ فإنك تجدُ فيه كلَّ أنواع التفسير، لكنْ من أهمِّ ما تميَّز به إنْ لم يكن أهمَّها هو هذا الأسلوبُ من التفسير، فقد قطَع فيه المؤلِّفُ شوطاً لم يُسبَقْ إليه ولم يُلْحَقْ فيه، وتفنَّنَ فيه تفنُّنَ الحاذق المتمكِّنِ من المعاني القرآنيَّة والآياتِ الربَّانيَّة، الأمرُ الذي يدلُّ على فكرٍ ثاقبٍ وقلبٍ خاشعٍ وعقلٍ قد فتَح الله عليه أنوارَ العلمِ والاستنباط، وقد كنَّا أشرنا إليه في ذكرِ مميِّزات هذا التفسيرِ، وحان الآن بيانُه والخوضُ فيه:

وأبسطُ أنواعِ تفسيرِ القرآنِ بالقرآن هو أن يُؤتى في تفسيرِ آيةٍ بآيةٍ أخرى تُوافقُها في المعنى إرادةً لتفسيرِ هذه بتلك، وهذا أمرٌ موجود في غالبِ التفاسير كما ذكرنا، لكنْ ما يميَّز هذا التفسير هو تفرده بتفسير آيات بآيات لم ترد عند غيره، ومن أمثلة ذلك:

ـ في قوله تعالى: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] قال: حين يحشرون، ثم يزولُ ذلك بدليلِ قوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، وقال: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾.

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الإسراء: ٤١] قال: أي: صرَّفنا في هذا القرآن القولَ في بطلانِ ما يقولونه ويعتقدونه؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١] صرَّح بالقول في تلك الآية وأضمرَه هاهنا.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [طه: ٦٢] قال: أي: فتشاوروا؛ كما قال: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ [الكهف: ٢١]، وهو أخذُ بعضهم القول من بعضٍ، كقوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣] هو أخذُ بعضهم الكأسَ من بعضٍ.

ـ وفي قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠] قال: أي: كذباً عظيماً، وهذا كما قال: ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] وعظمتُه ما قال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ الآية [مريم: ٩٠].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ [آل عمران: ٨١] قال: أي: أَقَبِلْتُم على ذلكم عهدي، كقوله: ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]؛ أي: لا يُقبل.

ـ ونحو هذا قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] قال: أي: قبلتَ؛ كما هو في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [التوبة: ٢٩].

ـ ومنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] قال: أي: ولم نُرسل إليهم قبلَكَ رسولاً يا محمدُ يخبرهم عن الله بإبطالِ أمرك، فليست عندهم حجةٌ على ما يقولونه في القرآن وفيك، وهو كقوله: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ [آل عمران: ٨١] قال: أي: قال اللهُ للأنبياء: أأقررتم؟ وهذا استفهامٌ بمعنى الأمر، كما في قوله: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ٣] قال: أي: وكلُّ أمرٍ مِن الخير والشَّرِّ، والحَقِّ والباطل، والهوى والحُجَّة، يستقِرُّ يوماً قرارُه، ويتناهى نهايتَه، فتخرُجُ حقيقتُه، وتزولُ شُبْهَتُه، وعند العواقب تظهَرُ الحقائقُ، وهذا وعيدٌ للمشركين، ووعدٌ وبِشارةٌ للرسول والمؤمنين، وهو كقوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]؛ أي: إنَّ مُدَّتَه وإنْ طالَتْ فلا بُدَّ مِن أنْ يستقِرَّ قرارُه، وتنكشِفُ حقيقتُه مِن حقٍّ وباطل.

ـ وقال في قوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]: أي: بالإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بالكفر؛ قال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١].

ـ ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] قال: أي: مضَى قولُ ربِّك فيهم بما علمَ منهم، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وهناك بعض التعلُّقات التي يذكرُها مما لا تَخطرُ على بالِ حتى المهتمِّين بهذا الشأن:

ـ فانظر كيف ربطَ بين هاتينِ الآيتين فقال: وقولُه تعالى: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ٢٣]؛ أي: ليقضيَ، وفي الكتاب بيانُ الحكم، فأُضيف الحكم إليه، كما في صفة القرآن: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩] لأنَّ فيه بيانَ التبشير والإنذار.

ـ ومثلُ ذلك قولُه تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [آل عمران: ٨٧ ـ ٨٨] قال: أي: في اللَّعنة، والخلودُ في اللَّعنة خلودٌ في جهنَّم، وهو كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ [طه: ١٠٠ ـ ١٠١]؛ أي: في الوِزْرِ، وذاك خلودٌ في جهنم.

ـ ونحوُه قولُه تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨] قال: أي: إلا كخَلْقِ نفسٍ واحدة وبعثِ نفسٍ واحدة؛ كقوله: ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أي: كدوران الذي يغشى عليه.

ـ ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [يونس: ٤] قال: متصلٌ بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ... لِيَجْزِىَ ﴾؛ كما قال: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [الزلزلة: ٦].

ـ ومنه ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ [السجدة: ٣٠] قال: أي: ماكثون إلى أن يكونَ ذلك، جعَلهم منتظِرين له وإنْ لم يقصدوا ذلك لأنه كان يأتيهم لا محالةَ، فكان كقوله: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ [يس: ٤٩].

وقيل: كان بعضهم شاكًّا فيه فكانوا ينتظرونه؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ [الحج: ٥٥].

ـ ومنه: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] قال: قيل: أي: كلُّ الذي يعِدُكم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ [الزخرف: ٦٣]: أي: كلَّه.

ثم أضاف إليه فائدةً، وهي ذكرُ ما جاء على عكسِ ذلك، فقال: وقد جاء كلٌّ في إرادةِ البعض؛ كما في قوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وقال: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النمل: ٢٣].

ـ وذكر مثلَ هذا أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] قال: أي: كلَّ ما تعملون، وهو كقوله: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]؛ أي: كلُّه.

ـ ومن الأمثلة أيضاً: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] قال: أي: إلَّا مَن إذا بلغَ فجَر وكفَر، وهو كقوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣]، و﴿بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]؛ أي: إذا بلغ مبلغَ العلم والحلم صار موصوفًا بهما.

ـ ومنه: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٧] قال: أي: وقيل لهم ذلك. وقيل: معناه: أَذَقْناهم ذلك؛ كما قال: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨]؛ أي: سَيَّرْناهم كذلك.

ـ ومن أمثلةِ ذلك أيضاً قولُه في الصراط المستقيم: إن معناه: أن سالكه مستقيمٌ فيه، كقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾؛ أي: يُبصَرُ فيه، وكقولك: نهرٌ جارٍ؛ أي: الماءُ جارٍ فيه، ونظيرُه في القرآن: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: عزَموا فيه. وقولُه: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]؛ أي: ما ربحوا فيها، وقولُه تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢].

فلا شكَّ أن مَن يَرى هذا الربطَ بين الآيات يُوقن أن القرآن لا تتناهَى معانيهِ، فلو سلك سالكٌ هذا الطريقَ لوجد العجَبَ العُجَاب.

ومن تفنُّن المؤلِّف بتفسيرِ القرآنِ بالقرآن: أن تحتمِلَ الآيةُ وجوهاً، فلا يَذكر وجهاً من وجوهها إلا ويُتبِعُه بدليله من القرآن:

ـ ومن أروعِ هذه الاستدلالات ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾: حيث أورد معاني الذكر في الآيةِ كلٌّ مع دليله من القرآن، فقال:

قيل: عن توحيدي كما قال: ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ [الفرقان: ١٨].

وقيل: عن طاعتي؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقيل: عن العلم؛ كما قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣].

وقيل: عن الذكر باللسان؛ كما قال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وقيل: عن الذكر بالقلب؛ كما قال: ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقيل: أي: عن وَعْظي؛ كما قال: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

وقيل: عن الصلاةِ؛ كما قال تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، وقولِهِ: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾ [ص: ٣٢] وقولِهِ: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

ـ ومن الأمثلة الجميلة عليه: قولُه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾:

قال السُّدِّي: أي: رافعُ درجاتِ أهل الجنة. وأيَّده المؤلِّف بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠].

وقيل: درجات الغُزاة، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ [النساء: ٩٥ ـ ٩٦].

وقيل: درجات العلماء والمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقيل: درجات أهل الدنيا، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ـ ومن نحو هذا قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]: ذكر فيها أقوالاً فمنها:

وقيل: أي: في كتب الأنبياء؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ أي: صِفَتهم.

وقيل: معناه: حَدَثْتم ووُجدْتم خيرَ أمَّة، كقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وقيل: معناه: أنتم خيرُ أمَّةٍ، كما في قوله تعالى: ﴿ٱسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: ٨٦] مع أنه قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]، وإنما صلح ﴿كُنتُمْ﴾ مقام ﴿أَنتُمْ﴾ لأنَّهما ضِدَّان لكلمةِ: (لستم)؛ لأنَّ ذلك للنَّفي وهذان للإثبات، فقام أحدُهما مقامَ الآخر لمشاكلتهما في مُضادَّتهما كلمةَ النَّفي.

وقيل: معناه: صرتُم خيرَ أمَّة، كما في قوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣] أي: صرتُم بالإيمان بخير الرُّسل وبخروجه في زمانه خيرَ الأمم.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ذكر قولين كلٌّ مع دليله من القرآن، فقال:

وقيل: أراد بها شدائدها وأهوالها؛ كما قال: ﴿مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقيل: هي زلزلة الأرض؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

ـ ومن ذلك ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران: ٨١] فعدَّد أنواع الميثاق كلٌّ مع دليله، فقال: وأخذُ الميثاق كان على ثلاثةِ أوجهٍ:

ميثاق الذُّرية: وهو قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

وميثاق الأنبياء بتبليغ الرسالة: وهو في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧].

وميثاق الأنبياء بالإيمان بمحمَّدٍ عليه السلام على التَّعيين، وهو في هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية [آل عمران: ٨١].

ومن مظاهر تفسير القرآن بالقرآن عند المؤلف ذكرُ النظائر، وهو أمرٌ برَع فيه رحمه الله بشكلٍ لا يدانيه فيه أحد: وهو يدلُّ على ثقابة فهمه وعمقِ نظره، وغوصه في معاني الآيات، وغزارةِ علمه بالكتاب الكريم:

ـ فمن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾: وقالوا: لَمَّا نادى الخليلُ الخلقَ بالحج باسم النَّاس، فقال: (يأيُّها النَّاس، إنَّ الله قد بنى لكم بيتًا وأمركم أن تحجُّوه فحجُّوه) ذكرَ اللهُ تعالى أمورَ الحجِّ في آيٍ مِن القرآن مقرونًا باسم النَّاس؛ فقال: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٢٧]، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ﴾ [الحج: ٢٥]، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٩٦]، ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

ـ وقال: نظير قولِه: ﴿يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ﴾ [الزمر: ٢٤] قولُه: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ [الأنبياء: ٣٩].

ـ وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾: والجوابُ محذوفٌ

وهو أبلغُ؛ لأن النفس تذهب فيه كلَّ مذهبٍ، وهو كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنبياء: ٣٩]، ونظائرِها.

ـ ومما يندرجُ تحت هذا قولُه في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]: و﴿مَا كَانَ﴾ تأكيدُ نفيٍ؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣].

ونحو النظائر جمع الآيات في موضوعٍ واحد:

ـ فقال في أوائل الكتاب عند تفسير الاستعاذة: ومن صفاته [أي: الشيطان] وأفعاله: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ﴾ [الحجر: ٣٣]، ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [البقرة: ٣٦] ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [آل عمران: ١٥٥] ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١]، ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [يوسف: ٤٢]، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]، ﴿نَزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [المجادلة: ١٩]، ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٩١]، ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ

وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الأنعام: ٧١]، ﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧]، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢] ﴿لَّأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ الآية ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٢ـ٤] قال: ولَمَّا قال مُشْرِكو قريشٍ: ضلَّ محمدٌ عن دين آبائه، أجابَ اللهُ بهذا، وسائرُ الناس كانوا يُجِيبون بأنفسهم، قال قومُ نوحٍ لنوحٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الأعراف: ٦٠]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، وقال عادٌ لِهُودٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: ٦٦]، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧]، وقال فرعونُ لموسى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، قال له: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

واللهُ تعالى تولَّى جوابَ ما قالوا للمصطفى ﷺ: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾، ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]، ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾.

وخُصُوصِيَّةٌ أخرى: قال لداود عليه السلام: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال للمصطفى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]، وقال لآدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وقال للمصطفى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.

ـ ومن هذا النوع ما جاء عند قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] قال

في آخر شرحها: فكأنَّه قال: أَكَّدْنا المحبَّةَ، وأَبْرَمْنا القُرْبَةَ، فمَقْبُولُه مَقْبولي، ومَرْدُودُه مَرْدودي، وأبانَ ذلك في آياتٍ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٣]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤]، ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ١٣]، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الحشر: ٨]، ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩١]، ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥]، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥]، ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، ﴿مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠]، فما هوَ له فهو لي، وما هو لي فهو له، وهذا مَقامٌ ليس فوقَه مَقامٌ.

وممَّا أَبدعَ فيه المؤلفُ وتفرَّد عن سائرِ المفسِّرين أنه غالباً ما يُتْبعُ القولَ المأثور بما يوافقُه من الآيات:

ـ ففي تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] ذكر المؤلف عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: لمَّا بلغ قريشاً أن اليهود والنصارى كذَّبوا رسلهم وجحدوهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى، لئن جاءنا رسول لنكونَنَّ أهدى منهم.

ثم أعقبه بقوله: ونظيرُه قولُه: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وقولُه: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] ذكر عن ابن

عباس رضي الله عنهما قوله: أي: اضربوا الأعناقَ فما فوقَها. وأتبعه بقوله: كما قال تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النساء: ١١]؛ أي: اثنتين فما فوقهما.

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥] أورد قول سعيد بن جبير: الأوَّاب: المسبِّح. وأعقبه بقوله تعالى: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]؛ أي: سبِّحي.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾؛ نقل قول يمان بن رئابٍ: يعني: الصناديدَ. وأتبعه بقوله: كما قال تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤]

ـ وعند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢] قال: والشعائر: هي أمور الحج؛ قال ابن زيد: منها رميُ الجمار، والسعيُ بين الصفا والمروة، ونحوُها.

وقال مجاهد: هي البدن، وتعظيمُها: استسمانُها واستحسانُها.

ثم ذكرَ دليلَ كلٍّ من القولين لكنْ على طريقةِ اللفِّ والنشرِ غيرِ المرتَّب، فقال في الاستدلال لقول مجاهد: قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦]، وأتبعه بدليل قول ابن زيد فقال: ودليلُ القولِ الأولِ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ [الفجر: ٩] ذكر قول مجاهد: أي: قطعوا الجبال بيوتًا. ثم استدلَّ له بقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٧٤].

ـ ومن ذلك ما جاء عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٦] قال: قال علي بن الحسين بن واقد: أي: في اللَّوحِ المحفوظ. ثم قال: وهو كقولهِ في سورة الحج: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠] وكذا في سورة الحديد.

ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧] ذكر قولَ الضحاك: أي: لا يقبلون أمر الله. وأعقبه بقوله: وهذا كقوله: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩١]؛ أي: لا نقبل.

ـ وعند قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤] قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي: إنْ عملتُم خيراً وتبتُم إلى الله مِن تخلُّفكم فسيرى الله عملكم ورسولُه فيما تستأنِفون، ثم ترجعون ﴿إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾؛ أي: إلى جزاء الله لا يخفى عليه شيء فيخبرُكم بما عملتُم ويجزيكم على ذلك. وأعقبه بقوله: وهو كقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ إلى قوله: ﴿فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤].

ـ وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] ذكر عن عطاءٍ قولَه: يريد: الذين يذكُرون المهاجرين والأنصارَ بالخير والرحمة والدعاء. قال المؤلف: أشار إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

ويصنعُ مثل ذلك أيضاً مع أقوال المتقدِّمين من العلماء:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [النور: ٣١] قال: قال القتبي: أي: لم يَفهموا ذلك ولم يقفوا عليه.

ثم بيَّن المؤلِّف مأخذَه فقال: من قوله: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الكهف: ٢٠].

ثم ذكر قولَ الفراء في الجملة نفسها: أي: لم يبلغوا أن يطيقوا النساء، يقال: صارع فلان فلاناً وظهر عليه. واستدلَّ له المؤلِّفُ بقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وقد ينتهِج مثلَ هذا في القراءات:

ـ ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [العنكبوت: ٥٠] قال: وقرأ ابن كثير، وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ، وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿آياتٌ من ربه﴾، وقرأ الباقون: ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

استدل المؤلف لكلِّ قراءة بما يوافقها من الآيات، فعقَّب قراءة الجمع بقوله: لأنهم كانوا يقترحون آيات كما قال: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات.

ثم عاد إلى القراءة الأولى فقال: ومَن وحَّد فهو للجنس فيؤدِّي معنى الجمع، وهو كقوله: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥].

ـ ومثله عند قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠] قال: مَن قرأ بفتح اللَّام فمعناه: إلَّا عبادَك الَّذين أخلَصْتَهم بتوفيقِكَ وعصَمْتَهم مِن فِتنتي، مِن قولِه: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: ٤٦].

ومَنْ قرأ بكسرها[1] فمعناه: إلَّا عبادَك الذين أخلَصُوا أعمالَهم لكَ، مِن قولِه: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

فهذه بعضُ الأمثلةِ من تفسيرِ القرآنِ بالقرآن، ذكرناها على سبيل البيان لا الاستقصاء، فالكتابُ كلُّه على هذا النحو، وهو كما ذكرْنا مما تميَّز به هذا التفسير، لكنه تميَّز بسمةٍ أخرى لا تقلُّ عنه أهميَّةً، وهي:

٢ ـ التفسير بالمأثور في تفسير «التيسير»:

وهذا الجانبُ من التفسيرِ لا يقلُّ أهميةً عن الذي قبلَه، بل إنَّ هذا الكتابَ ليُعدُّ

---

(١) قرأ الكوفيون ونافع بفتح اللام، والباقون بكسرها.

من أنواع التفسير بالمأثورِ؛ لكثرةِ ما فيه من أقوالِ السَّلف، فلا تمرُّ آيةٌ، بل ولا لفظةٌ، إلا ويَسردُ المؤلِّف ما رُوي عن السَّلَفِ في تفسيرها، بما قد يصلُ أحياناً إلى عشرةِ أقوالٍ أو أكثر.

ونعني بالمأثور: ما رُوِي عن النبيِّ ﷺ، ثم مَن بعدَه من الأجيال الثلاثةِ وهم:

١ ـ الصحابة: وقولُهم رضي الله عنهم مقدَّمٌ على كلِّ قولٍ، فإنَّ صُحبتَهم للنبيِّ ﷺ، ومخالطتَهم له، وتلقُّفَهم كلَّ قولٍ أو فعلٍ منه عليه الصلاةُ والسلام، واقتداءَهم به في كلِّ صغيرةٍ وكبيرة، قد أكسبَهم ـ بالإضافةِ لِمَا جُبِلوا عليه من شدَّةِ الفِطْنةِ وسلامةِ الفطرةِ ـ فهماً ثاقباً، وعقلاً راجحاً، وعلماً واسعاً، وقريحةً وقَّادةً، إضافةً لِمَا عَرَفوا من أحوالِ مَن نزل فيهم القرآنُ من العرب واليهود، هذا مع ما كانوا عليه مِن التَّقوى العظيمةِ التي أكسبتْهم نوراً يضيءُ طريقَهم، ويكشفُ لهم ما غمضَ على غيرهم من المسائل، ويجلِّي ما أَشكلَ من المعاني، فلا عَجَب أنْ كانت لهم تلك المكانةُ السامقةُ والمرتبةُ العاليةُ التي لا يمكنُ أن يبلغها غيرُهم بعد النبيِّ ﷺ.

وأكثرُ مَن رُوي عنه التفسيرُ في جيلِ الصحابة ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما، ثم عليٌّ وابن مسعود، ثم باقي الصحابةِ رضي الله عنهم أجمعين.

٢ ـ التابعين: وللتابعين مكانةٌ لا تُنكَر عند أهل العلم، فهم قد تَلَقَّوا التفسيرَ عن الصحابة الذين شأنُهم ما قدَّمناه، وكانوا ـ أي: التابعون ـ في عصرِ الاحتجاج اللغويِّ، فلم تَفسُدْ ألسنتُهم بالعُجمة، وكان لهم من الفهم وسلامةِ المقصد ما لهم، إضافةً إلى خلوِّهم من البِدَع والأهواء، فلم يكونوا شيعًا وأحزابًا، بل كانوا متفقينَ على أصولِ أهل السُّنَّة والجماعة التي أرساها الصحابة. كلُّ هذا جعَل لكلامهم وزناً عند العلماء، مع الاختلافِ في الرجوعِ إلى تفسيراتهم وحجِّيَّة أقوالهم.

وأبـرز هذا الجيل: مجـاهـدُ بنُ جَبْرٍ، وقَتادةُ بـنُ دِعامةَ، والحسنُ البَصْريُّ، وسعيدُ بن جُبيرٍ، وعطاءُ بن أبي رَباحٍ، وإسماعيلُ بنُ عبدِ الرحمنِ السُّدِّيُّ، ورُفيعُ بن مِهْران أبو العاليةِ الرياحيُّ.

٣ ـ أتباع التابعين: وعندهم ينتهِي جيل السَّلف، وتأتي أهميةُ أقوالِهم عند العلماء مِن قُربِ عهدهم بأنوارِ النبوةِ، وشمولِ حديثِ النبيِّ ﷺ لهم في قوله: «خيرُ القرونِ قَرْني ثم الذينَ يَلُونَهم ثم الذين يَلُونَهم»، فهو لا شكَّ يَشمَلُ جيلَ أتباعِ التابعين الذين هم آخِرُ القرون المُنيفةِ في الخيريَّة على مَن بعدَها بشهادةِ النبيِّ ﷺ، وكفَى به شرفاً أكسبَهم إياه النبيُّ الكريم عليه أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم، ثم هم قد تتلمذوا على جيلِ التابعين الذي قدَّمنا صفاته، ونهَلوا من مَعينِ عِلمهم، وحملوا التراثَ الذى خَلَّفوهُ، ثم زادوا عليه بمقدارِ كشفِ ما زاد من غموضٍ عند الناس، وما جَدَّ من اختلافٍ في الرأي بينهم، فصار التفسيرُ في جيلهم بين التفسيرِ النقليِّ المحضِ، والتفسيرِ الذي يدخلُه الاجتهاد، وعن هؤلاء أخذ مَن جاء بعدهم، فكانوا هم الينبوع الذي صدرت عنه أجيال العلماء الذين لحقوهم.

ومن أبرز هذا الجيل: عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ، وابنُ جُريجٍ، وسفيانُ بنُ عيينةَ، ومقاتل بن حيان، ومنهم محمدُ بنُ السَّائب الكلبيُّ ومقاتل بن سليمان إلا أنهما متروكان لا يوثَّقُ بروايتهما كما سيأتي.

والمؤلف رحمه الله لا يمرُّ بآية ورد فيها حديثٌ مرفوعٌ أو قولٌ للسلف إلا توقَّفَ عندها وأوردَ أكثرَ ما روي عن السلف فيها، وسنذكرُ هنا بعضَ الملاحظاتِ الضروريَّة لفهمِ ما جاء في الكتاب:

فأما حديثُ النبيِّ ﷺ فيُلاحَظُ عند المؤلِّف عدمُ التمييزِ بين الصحيحِ والضعيفِ

وحتى الموضوعِ، فهو يُورِدُ ما وقَف عليه من رواياتٍ دون النظرِ إلى حالها، فوقعَ فيه لذلك بعضُ الأحاديثِ الموضوعة:

وأولُ هذه الأحاديثِ: الحديثُ الموضوعُ في فضائل السُّورِ سورةً سورةً، فقد وقع المؤلفُ رحمه الله فيما وقعَ فيه كثيرٌ من المفسِّرين ـ كالثَّعلبيِّ والواحديِّ والزمخشريِّ والبيضاويِّ ـ من الاغترارِ بهذا الحديث، فيَذكر في مطلعِ كلِّ سورةٍ قطعةً منه، وهو ما تضمَّنه في فضلِها منسوبةً إلى أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه، وأولُ مَن فعَل هذا الثعلبيُّ، ثم تبعَه تلميذُه الواحديُّ، وتابعهما على ذلك المؤلف والزمخشريُّ، ثم البيضاويُّ وأبو السعود. وهذا الحديث قد نبَّه العلماء على وضعه، وعلى رأسهم ابنُ الجوزيِّ رحمه الله الذي قال عنه في «الموضوعات»: وهذا حديث فضائلِ السور مصنوعٌ بلا شكٍّ.

قال: وقد فرَّق هذا الحديثَ أبو إسحاقَ الثعلبيُّ في «تفسيره»، فذكَر عند كلِّ سورةٍ منه ما يخصُّها، وتَبِعَه أبو الحسن الواحديُّ في ذلك، ولا أعجبُ منهما لأنَّهما ليسا من أصحابِ الحديث، وإنما عَجِبْتُ من أبي بكرِ بنِ أبي داودَ كيف فرَّقه على كتابه الذي صنَّفه في فضائل القرآن وهو يعلمُ أنه حديثٌ مُحال، ولكنْ شَرَهُ جمهورِ المحدِّثين، فإن من عادتهم تنفيقُ حديثهم ولو بالبواطيل[1].

وقال السيوطيُّ في حاشيته على البيضاويِّ: هذا من الحديثِ الموضوعِ الذي رُوي عن أبيِّ بن كعبٍ في فضائلِ القرآنِ سورةً سورةً، وقد نبَّه أئمةُ الحديث وحُفَّاظه ونقَّادُه قديماً وحديثاً على أنه موضوعٌ مختلقٌ على رسول الله ﷺ، وعابُوا على مَن أَورده من المفسِّرين في تفاسيرهم[2].

---

(١) انظر: «الموضوعات» (١/ ١٧٤).

(٢) انظر: حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي المسماة: «نواهد الأبكار» (٣/ ١١٢).

وقال مرعيٌّ الكرميُّ: أحاديثُ فضائِل السُّورِ المرويةُ عن ابن عباس وأبيِّ بنِ كَعْبٍ، كالذي ذكره البغوِيُّ والواحديُّ ونحوُهما كلُّها كذبٌ باتِّفاق أهل المعرفة بالحديثِ، قال العراقيُّ:

(وكلُّ مَـــن أَوْدَعـــهُ كِتَابَـــهْ كالواحـــديِّ مُخطـــئٌ صَوَابَـــهْ)[1]

وقال ابنُ كثيرٍ في أولِ يوسفَ: وهو منكرٌ من سائرِ طُرقه.

وممن نبَّه على وضعِه أيضاً الـمُنَاويُّ في «الفتح السماويِّ» مفرِّقا ذلك في كلِّ سورةٍ على حسَبِ ما أورده البيضاوي.

وكذا الملَّا عليٌّ القاري، وقال: وقد اعترفَ بوضعِها واضعُها وقال: قصدْتُ أنْ أُشْغِلَ الناسَ بالقرآنِ عن غيرِه[2].

وإنما أطلتُ في الكلامِ عليه لأنه سيَرِدُ في هذا الكتابِ مع كلِّ سورةٍ، فلا بدَّ من جلاءِ حالِهِ وبيانِ حقيقته.

ومن **الأحاديثِ الموضوعة** التي أوردها أيضاً: حديثُ جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ يهوديًّا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يا محمَّد؛ أخبرني عن أسماء الكواكب اللاتي سجدْنَ ليوسف، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «إنْ أخبرْتُكَ أتؤمنُ بي؟» قال: نعم، فأتاه جبريلُ صلوات الله عليه فعلَّمه أسماءها، الحديث.

وهـو مـن طريـق الحكَم بـن ظَهيـرٍ عن السُّـدِّي عـن عبـدِ الرحمن بنِ سـابطٍ عـن جابر.

---

(١) انظر: «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة» لمرعي الكرمي المطبوعة ضمن «مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي».

(٢) انظر: «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» لعلي القاري (ص: ٤٧٥).

قال ابنُ حبَّانَ: هذا لا أصلَ له مِن حديثِ رسول الله ﷺ، والحكَمُ بن ظَهيرٍ الفَزَاريُّ الكوفيُّ كان يَشتِم أصحابَ محمدٍ ﷺ، يَروِي عن الثِّقات الأشياءَ الموضوعات.

وقال ابن الجوزيِّ: هذا حديثٌ موضوعٌ على رسول الله ﷺ، وكأن واضعَه قصد شينَ الإسلام بمثلِ هذا، وفيه جماعةٌ ليسوا بشيءٍ، قال يحيى بن معين: الحكمُ بن ظهيرٍ ليس بشيءٍ. وقال النسائيُّ: متروكُ الحديث.

وقال الجوزجانيُّ كما في «التهذيب»: ساقطٌ؛ لميله وأعاجيبِ حديثه، وهو صاحب حديثِ نجوم يوسف.

ومنها: حديثُ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ في بعضِ طرقاتِ المدينة، إذا برجلٍ قد صُرع، فدنوتُ فقرأتُ في أذنه فاستوى جالساً، فقال النبيُّ ﷺ: «ماذا قرأتَ في أذنه يا ابنَ أمِّ عبدٍ؟» قلتُ: فداكَ أبي وأمي، قرأتُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فقال النبيُّ ﷺ: «والذي بَعَثني بالحقِّ لو قرأها مُوقنٌ على جبلٍ لذاب».

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في «العلل»، والعقيليُّ في «الضعفاء»، وابن الجوزي في «الموضوعات»، من طريق سلام بن رَزينٍ عن الأعمش عن شَقيقٍ عن ابن مسعود به. قال الإمام أحمد: هذا حديثٌ موضوع، هذا حديثُ الكذَّابين. وقال الذهبيُّ في «الميزان» ترجمة سلام بن رزين: لا يُعرف، وحديثه باطلٌ.

فهذه بعضُ الأمثلة على ما وَرد في الكتاب من الموضوع، مع التنبيهِ إلى أن أمثالَ هذه الأحاديثِ لم يَسْلَمْ منها كثيرٌ من كتبِ التفسير، حتى إنَّ حديثَ

الحكم بن ظهيرٍ في أسماء الكواكب قد رواه ابنُ أبي حاتم في «تفسيره»، وابنُ أبي حاتم معروفٌ في الجلالة والعلم.

ونذكرُ هنا أيضاً أن كثيراً مما أوردَه المؤلف هو من الأحاديثِ الصحيحةِ المرويَّة في الصحيحين وغيرِهما من دواوين الإسلام المعروفة، لكنْ مع ذلك قد وقَع فيه بعضُ الأحاديثِ التي لم نقف عليها في المصادرِ التي بين أيدينا:

ـ فمن ذلك: حديثُ: «أنا قائدُها، وعيسى سائقُها» عن أمةِ المؤمنين.

ـ وحديثُ: «مفتاحُ القرآنِ التَّسميةُ».

ـ وحديثُ: «الصلاةُ ثانيةُ الإيمان».

ـ وحديثُ: «إذا غَضِبَ الله على قومٍ سلَّط الله عليهم شرارَهم في البرِّ والبحر».

ـ ومن ذلك: حديثُ أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَن قرأ في ليلةٍ سورةَ تنزيل السجدة، وسورةَ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أو في يوم، بنَى الله له بيتان في الجنة، وكان كمَن وافَقَ ليلةَ القَدْر، وحفَّتْ به الملائكةُ، وحفَّته بسورةِ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، ومنعَتْه ملائكةَ العذاب».

ـ وحديثُ عائشةَ في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال: «هو قولُ اللهِ تعالى: لولا العِتابُ ما كان معَ أُمَّتِكَ الحِسابُ».

ـ ومثلُه في الآية نفسِها: وقيل: أوحَى اللهُ إليه: «إنِّي ضَمِنْتُ الرزقَ لعبادي وأُمَّتُكَ لا يَثِقون بذلك، وخلقْتُ النارَ لأعدائي وهُم يجتهدون أنْ يدخلُوها، وأنا لم أُطالِبْهم بعمَلِ الغدِ وهُم يَطْلُبون مني رِزْقَ الغدِ، وأنا لا أُعْطِي رِزْقَهم غيرَهم وهُم

يُؤَدُّون طاعتي لِرؤية غيري، وأنا المُعِزُّ والمُذِلُّ وهُم يَرْجُون ويخافون غيري، وأنا المُنْعِمُ عليهم وهم يشكُرون لغيري».

ثم قال: يُروى هذا عن فاطمةَ رضي الله عنها: أنها سألَتْ رسولَ الله ﷺ عن هذا، فقال هو هذا.

ـ وقول ابن عباس في الآية نفسها: قال اللهُ تعالى له: عَبَدْتَنا في الخَلْوَةِ، فاشْفَعْ لِأُمَّتِكَ في الخَلْوَةِ.

ـ وهذا من الموقوف، ومنه أيضاً: قولُ ابنِ عباس رضي الله عنهما: إجلالُ القرآن: أعوذُ بالله مِن الشيطانِ الرجيمِ، ومفتاحُ القرآن: بسم الله الرحمنِ الرحيمِ.

ـ وقولُ ابن مسعود رضي الله عنه: سورة ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ هي المانعةُ تمنع من عذاب القبر.

فهذا ما يتعلَّقُ بالأحاديث المرفوعة والموقوفة، أمَّا الآثارُ فلنا معها هنا ملاحظاتٌ وتنبيهاتٌ مهمةٌ:

فأول هذه الملاحظات ما يتعلَّق بتفسير الكلبي:

والكلبي: هو محمد بن السائب، أبو النَّضر الكوفيُّ المفسِّر النسَّابة الأخباريُّ. وقد اتَّفق جميعُ العلماء على تركه وعدمِ الاحتجاج برواياته، أمَّا أقوالُه في التفسير فاختلفوا فيها.

قال الثوريُّ: اتَّقُوا الكلبيَّ، فقيل: فإنك تروي عنه، قال: أنا أعرِفُ صدقَه من كذبه.

وقال البخاريُّ: أبو النضر الكلبيُّ تركه يحيى وابنُ مهدي.

ثم قال البخاريُّ: قال عليٌّ: حدثنا يحيى، عن سفيان، قال لي الكلبيُّ: كلُّ ما حدَّثْتُك عن أبي صالحٍ فهو كذب.

وقال سفيان: قال الكلبيُّ: قال لي أبو صالح: انظر كلَّ شيءٍ رويتَ عنِّي عن ابنِ عباسٍ فلا تروِه.

وقال ابن معين: قال يحيى بن يعلى عن أبيه، قال: كنتُ أختلفُ إلى الكلبيِّ أقرأُ عليه القرآن، فسمعتُه يقول: مرضْتُ مرضةً فنَسِيتُ ما كنتُ أحفظُ، فأتيتُ آلَ محمدٍ ﷺ فتَفَلوا في فيَّ، فحفظتُ ما كنتُ نسيتُ. فقلتُ: لا والله، لا أروي عنك بعد هذا شيئاً، فتركتُه.

وقال يزيد بن زريعٍ: حدَّثنا الكلبي وكان سبئيًّا.

وقال ابن حبَّان: كان الكلبيُّ سبئيًّا من أولئك الذين يقولون: إن عليًّا لم يَمتْ، وإنه راجعٌ إلى الدنيا ويملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً، وإن رأوا سحابةً قالوا: أميرُ المؤمنين فيها.

وقال التبوذكي: سمعتُ هماماً يقول: سمعتُ الكلبيَّ يقول: أنا سَبئيٌّ.

عباس عن ابن معينٍ قال: الكلبيُّ قال ليس بثقة. وقال الجوزجاني وغيره: كذاب. وقال الدارقطني وجماعة: متروك.

وقال ابن حبان: مذهبه في الدِّين ووضوحُ الكذب فيه أظهرُ من أن يحتاجَ إلى الإغراقِ في وصفه، يروي عن أبي صالحٍ عن ابنِ عباسٍ التفسيرَ، وأبو صالحٍ لم يرَ ابنَ عباسٍ، ولا سمع الكلبيُّ من أبي صالحٍ إلا الحرفَ بعد الحرف، فلمَّا احتيجَ إليه أَخرجت له الأرضُ أفلاذَ كبدِها، لا يحلُّ ذكرُه في الكتب، فكيف الاحتجاج به!

فهذا حاله في الرواية، أما في التفسير فقد اختلفوا فيه كما ذكرنا:

ففريقٌ منعوه، منهم الإمام أحمد، قال أحمد بن زهيرٍ: قلتُ لأحمدَ بن حنبل: يحلُّ النظر في تفسير الكلبي؟ قال: لا.

وفريق ارتضَوا أقواله في التفسير، قال ابن عديٍّ: وقد حدَّث عن الكلبيِّ سفيانُ وشعبةُ وجماعةٌ، ورضُوه في التفسير[1].

وإنما أطلت في بيان حاله لكثرة ما أورد المؤلف من أقواله، وتمهيداً لملاحظةٍ هامةٍ في نقل العلماء عن الكلبي يجب التنبيه عليها، وقد لاحظتها من خلال عملي الطويل في التفسير، واطِّلاعي على كثيرٍ من أمَّهات التفاسير، وقد وقع منها في هذا التفسير الكثير:

وهذه الملاحظة: هي أنه كثيراً ما يقع الخلطُ وعدمُ التمييزِ بين ما يُروى عن الكلبيِّ، وما يُروى عن ابن عباس من طريقِه، وهي طريقُ الكلبيِّ عن أبي صالحٍ عن ابنِ عباس، فتجدُ مثلاً خبراً يذكره بعضُ العلماء عن الكلبيِّ، بينما يذكرُه آخرون عن ابن عباس، وهؤلاء منهم مَن ينسبُه لابن عباسٍ دون بيانِ الراوي، ومنهم مَن يشيرُ إلى أنه من طريقِ أبي صالحٍ عن ابن عباسٍ، ومنهم مَن يذكره من طريقِ الكلبيِّ عن أبي صالحٍ عن ابن عباسٍ، لا أعني أن هذا كلَّه يحصل في خبرٍ واحد، لكن أكثرُ الأخبار يجري فيها شيءٌ من هذا، وإنما يُعرفُ حال ما ذكَرْنا بالتَّنقيب في كتبِ التفسير، وحصرِ ما وردَ فيها في ذلك الخبر.

ومن الفوائدِ التي تتحصَّلُ من هذا الأمر: معرفةُ حالِ المرويِّ عن ابن عباس، وأنه من طريقِ الكلبي، فالاحتجاجُ به على ما قدَّمنا، كما يستفاد منه في الترجيحِ إذا وردت عن الحبر روايةٌ أخرى أو أكثرُ مخالفةٌ لتلك الروايةِ، وكانت من طريقٍ أصلحَ منها.

ثم إن مَن ينسبُه لابن عباس دون بيانٍ لعلَّه إنما يَفعلُ ذلك لتقويةِ حاله؛ لمعرفته

---

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ١٢٥) بتصرف وتقديم وتأخير.

بمكانة أقوالِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما عند الناس، ولعلمِه أنَّ ذكرَ الكلبيِّ فيها يدفعُ للإعراض عنها.

وسنسوقُ بعضَ الأمثلة لبيان المسألة:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ذكر المؤلف عن الكلبيِّ قوله: ﴿مُنَادِيًا﴾: داعياً، يعني: محمداً ﷺ.

وهذا القول ذكره الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: ١١٣] قال: قال الكلبيُّ رحمه الله: فأتَوه وكانوا سبعين ساحراً غيرَ رئيسهم، وكان يعلِّمهم رجلان مجوسيان من أهل نينوى.

وهذا أورده الثعلبيُّ والبغويُّ عن الكلبيِّ كالمؤلِّف، بينما ذكره الرازي في «تفسيره» عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] قال: قال الكلبيُّ رحمه الله: نزلت في رجلينِ من قريشٍ أخبر الله تعالى نبيَّه ﷺ أنها ستكونُ بعده في أصحابه، وقد كانت تلك الواقعةُ بعد وفاته ومضت.

وهذا ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» من طريق أبي صالح عن ابن عباس مختصراً بلفظ: نزلت في رجلين من قريش، ولم يسمِّهما.

ـ وفي قوله: ﴿يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الأنفال: ٢٦] قال: قال الكلبي: أي: أهلُ مكة.

وهذا ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ

﴿ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] قال: وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أهل مكة قالوا: يا محمدُ! ألا يخبرُكَ ربُّك بالسعر الرخيص قبل أن يغلوَ فتشتريَه فتربحَ به، أو يخبرُك بالأرض التي يريد أن تُجدِب فترتحلَ منها إلى ما أخصبَتْ، فأنزل الله هذه الآية.

وردَ هذا الخبر في «تفسير الثعلبي»، و«البسيط» للواحدي، و«تفسير البغوي»، و«زاد المسير»، عن ابن عباس، وفي «تفسير أبي الليث»، و«أسباب النزول» للواحدي، عن الكلبي

ـ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال: روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال الله تعالى للسماوات والأرض والجبال: إن أحسنتُنَّ جُوزِيتُنَّ وإن أسأتُنَّ عوقِبْتُنَّ.

ذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» عن الكلبي، وأبو الليث السمرقنديُّ في «تفسيره» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] قال: قال الكلبيُّ: لمَّا أَنزل الله الفرائضَ فعمل بها الناسُ، ثم جاء ما ينسخُها من القرآنِ وقد غاب أناسٌ وهم يعملون بالأمرِ الأولِ من القبلة والخمرِ وأشباهِ ذلك، سألوا رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فأَنزل اللهُ تعالى هذه الآيةَ.

ذكره الثعلبيُّ والبغويُّ عن مقاتل والكلبيِّ، وابنُ الجوزيِّ في «زاد المسير» من طريق الكلبيِّ عن أبي صالح عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨] قال المؤلفُ: قال الكلبيُّ: أي: جماعات.

ذكره عن الكلبيِّ الماورديُّ في «النكت والعيون»، وذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» والواحديُّ في «البسيط»، عن ابن عباس

ـ ومثل ذلك: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] قال: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿بُكْرَةً﴾: صلاةُ الفجرِ، ﴿وَأَصِيلًا﴾: سائرُ الصلوات.

ذكره الماورديُّ في «النكت والعيون» والبغويُّ في «تفسيره» والواحديُّ في «البسيط» عن الكلبي.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] قال: روى أبو صالحٍ عن ابن عباس قال: عمَل الكفَّار مكتوبٌ في صخرةٍ تحت الأرضِ السَّابعة، خضراءَ خُضرةُ السَّماوات منها.

ذكره الثعلبي في «تفسيره» عن الكلبي.

ـ وفي سبب نزول سورة الطارق ذَكر عن ابن عبَّاس قوله: نزلت في أبي طالبٍ، وذلك أنَّ ليلةً من اللَّيالي انحطَّ نجمٌ، فامتلأَتْ الآفاقُ نارًا، ففزِعَ لذلك أبو طالب، فقال: أيُّ شيءٍ هذا؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا نجمٌ رُمِيَ به، وهو آيةٌ من آياتِ اللهِ»، فعجِبَ أبو طالب، فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ الآيات.

ذكره القرطبي من طريق أبي صالح عن ابن عباس، وذكره البغويُّ عن الكلبيِّ، وذكره دون عزوٍ الثعلبيُّ في «تفسيره»، والواحديُّ في «أسباب النزول».

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾: ذكَر عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قولَه: كان عَهِدَ إلى بني إسرائيلَ على لسانِ موسى صلواتُ الله عليه: إنِّي باعثٌ مِن بني إسماعيل نبيًّا أُمِّيًّا؛ فمَن اتَّبعه وصدَّق بالنُّور الذي يأتي به غفرتُ له ذنبَه وأدخلتُه الجنة، وجعلتُ له أجرينِ اثنين، فذكَّرهم ذلك بهذه الآية.

كذا ذكره المؤلفُ عن ابن عباس، وذكره أبو الليث السمرقنديُّ في «تفسيره» من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» عن الكلبيِّ.

ومثل هذا كثيرٌ جدًّا، وإنما اقتطَفْنا بعضَ الأمثلة لتوضيح المسألة لا أكثر.

ملاحظة ثانية: وهذه الملاحظةُ تتعلَّق بما يُروى عن عطاءٍ، وهناك علَمان من السَّلَف بهذا الاسم: عطاءُ بن أبي رباحٍ، وعطاءُ بن أبي مسلمٍ الخراسانيُّ، وثمةَ فرقٌ كبيرٌ بين الرجلين:

فالأول تابعيٌّ ثقةٌ فقيهٌ فاضلٌ روَى عن جمعٍ من الصحابة منهم ابنُ عباسٍ وابن عمرٍو وابنُ عمرَ وابن الزبير ومعاوية وأسامة بن زيد وجابر بن عبد الله وغيرهم، وكان مع ذلك كثيرَ الإرسال، وقد روَى له الستة.

والثاني روايتُه عن الصحابةِ مرسلةٌ، وهو صدوقٌ يهمُ كثيراً ويرسِل ويدلِّس، ولم يصحَّ أن البخاريَّ أخرج له، وروى له مسلمٌ متابعةً.

ويحصل الخلطُ في الأخبارِ هنا بأنْ يُنسبَ الخبرُ لعطاءٍ دون تعيينِ مَن هو، ومن ناحيةٍ أخرى كثيراً ما يَنسب بعضُ العلماء الخبرَ لعطاءٍ، وينسبه آخرون لابن عباس، ويصرِّح بعضُ هؤلاء بأنه من طريق عطاءٍ عن ابن عباسٍ، وأكثرُ ما يقع هذا عندَ الواحديِّ في كتابيه «البسيط» و«الوسيط»، فيجعلُ أكثرَ أخبارِ عطاءٍ متَّصلةً لابنِ عباسٍ، وهذه الأخبارُ ضعيفةٌ واهيةٌ لا يُحتجُّ بها كما بيَّن ابنُ حجر في «العُجاب» فقال: ومِن التفاسيرِ الواهيةِ لوَهَاءِ رواتها التفسيرُ الذي جمَعه موسى بنُ عبدِ الرحمن الثَّقَفيُّ الصنعانيُّ، وهو قَدْرُ مجلَّدين يُسنده إلى ابن جُريجٍ عن عطاءٍ عن ابنِ عباس، وقد نَسب ابنُ حبَّان موسى هذا إلى وضعِ الحديثِ، ورواه عن موسى عبدُ الغنيِّ بنُ سعيدٍ الثقفيُّ وهو ضعيف.

وقد قال ابن حبَّان في «المجروحين»: مُوسَى بنُ عبد الرَّحْمَن الصَّنْعَانِيُّ شيخٌ دجَّالٌ يَضع الحديثَ روى عنه عبد الغَنِيّ بن سعيد الثَّقَفِيُّ، وضعَ على ابنِ جريجٍ عن عَطاءٍ عن ابنِ عَبَّاسٍ كتاباً في التَّفْسِير جمَعه من كلام الكَلْبِيِّ وَمُقَاتِلِ بن سُلَيْمَان، وألزقه بابن جريجٍ عن عطاء عن بن عبَّاس، ولم يحدِّث به ابنُ عَبَّاس، ولا عطاءٌ سَمِعَه، ولا ابنُ جريجٍ سمع من عطاء، وإنَّما سمع ابنُ جريجٍ من عطاء الخُراسَانيِّ عن ابن عبَّاس في التفسير أحرفاً شَبِيهاً بِجُزْء، وعطاءٌ الخُراساني لم يسمع من ابن عبَّاس شيئاً ولا رواهُ، لا تحل الرِّوَاية عن هذا الشَّيخ ولا النَّظرُ فِي كتابه إلَّا على سَبِيل الاعْتِبار[1].

ويظهرُ من كلامِ ابن حبَّان أن عطاءً المذكورَ في هذا التفسيرِ هو الخراسانيُّ، فهو لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا التفسيرُ قد روى طرفاً منه الطبرانيُّ في «الكبير» عن شيخه بكرِ بن سهلٍ الدِّمياطيِّ، عن عبدِ الغنيِّ بنِ سعيدٍ الثَّقَفيِّ، عن موسى بنِ عبد الرحمنِ الصَّنعانيِّ، عن ابن جريجٍ، عن عطاءٍ، عن ابن عباس.

وما ذكره الواحديُّ من رواياتِ عطاء عن ابن عباس موافقٌ لتلك الرواياتِ التي عند الطبرانيِّ، لكنَّ الواحديَّ قد أكثرَ مِن نقلِها مع شدَّةِ ضعفِها ووَهَائها.

وسنذكرُ فيما يلي بعضَ الأمثلةِ للاختلاف الحاصلِ بين الرواياتِ من هذه الطريقِ:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف: ٨٥] ذكر المؤلِّف عن عطاء قولَه: شعيبُ بنُ توبةَ بنِ مدينَ بنِ إبراهيم.

---

(١) انظر: «المجروحين» (٢/ ٢٤٢).

ذكره الثعلبيُّ والبغويُّ عن عطاءٍ كالمؤلف، وذكره الواحديُّ في «البسيط» عن عطاءٍ عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] قال المؤلِّف: وقال عطاءٌ: كانت بنو إسرائيلَ إذا قامتْ تصلِّي للهِ لبِسوا الـمُسوحَ، وغَلُّوا أيديَهم إلى أعناقهم؛ تواضُعاً لله، وخوفاً من عذابه، وطمعاً في ثوابه، فرفَعها الله تعالى عن هذه الأمة.

ذكره الواحدي في «البسيط» عن عطاء عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٥] قال: وقال عطاء: يعني: يومَ بدر وأحد.

ذكره الواحديُّ في «البسيط» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ـ وكذا: وقال عطاءٌ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]: بلا إلهَ إلا الله.

ذكره عن عطاءٍ الثعلبيُّ والبغويُّ، وذكره الواحديُّ في «البسيط» من طريقِ عطاء عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] قال: قال عطاءٌ: وإما يَعْرِضنَّك من الشيطان عارضٌ.

ذكره الواحديُّ في «البسيط» من طريق عطاءٍ عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿يَلْمِزُكَ﴾ [التوبة: ٥٨] قال: قال عطاءٌ: أي: يغتابُك.

ذكره الثعلبيُّ عن عطاء، والواحديُّ في «البسيط» عن عطاءٍ عن ابن عباس.

ـ وفي قوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٤] قال المؤلف: وقال عطاءٌ: هم سبعون رجلاً أنزل الله تعالى أسماءَهم وأسماء آبائهم، ثم رُفعت مرحمةً على العباد، ولأنَّ أولادهم أَسلموا وأَخلصوا.

ذكره الواحدي في «البسيط» عن عطاء عن ابن عباس، والبغوي في «تفسيره» عن ابن عباس.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] ذكر عن عطاء أنها في سهل بن رافع.

ذكره الواحديُّ في «البسيط» من طريق عطاءٍ عن ابن عباس.

ـ وفي قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] قال: وقال عطاءٌ: يريد: الذين يذكُرون المهاجرين والأنصارَ بالخير والرحمة والدعاء.

ذكره الثعلبيُّ عن عطاءٍ، وذكره الواحديُّ في «البسيط» من طريقِ عطاءٍ عن ابنِ عباس.

والأمثلةُ كثيرةٌ جدًّا، لكنَّ الملاحظَ أن هذه الروايات مقتصرةٌ تقريباً على الثعلبيِّ والواحديِّ والبغويِّ، وقد يوردُها مَن يأخذُ عنهم كالرازي وابن الجوزيِّ والقرطبي. ويوضح هذا الأمرَ معرفةُ أن الواحديَّ تلميذُ الثعلبي، وقد نقل في تفاسيرِه كثيراً مما أورده الثعلبيُّ في «تفسيره»، كما أن البغويَّ تلميذُ الواحديِّ، وقد أكثرَ في «تفسيره» من نقلِ ما جاء عند شيخه الواحديِّ وشيخِ شيخِه الثعلبيِّ. والله تعالى أعلم.

أمَّا الملاحظةُ الثالثةُ: فتتعلَّق بما ينقلُ عن مقاتل، وهاهنا علَمان أيضاً بهذا الاسم: مقاتلُ بن حيَّان، ومقاتلُ بن سليمان، والبَون بينهما شاسعٌ أيضاً:

فالأول قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوقٌ فاضلٌ، أخطأ الأزديُّ في زَعْمِه أن وكيعًا كذَّبه، وإنما كَذَّب الذي بعده.

ويعني بالذي بعده مقاتل بن سليمان فإنه أعقبه به وقال: كذَّبوه وهَجَروه ورُمِيَ بالتجسيم.

قلتُ: لكن بعضَهم استحسَن تفسيرَه، فقد قال الحافظ نفسُه في «التهذيب»:

ورُوي عن الشافعي من وجوه: الناس عيالٌ على مقاتلٍ في التفسير.

وقال نعيمُ بن حمَّاد: رأيتُ عند ابنِ عيينةَ كتاباً لمقاتلٍ فقلتُ: يا أبا محمدٍ تروي لمقاتلٍ في التفسير؟! قال: لا، ولكنْ أستدلُّ به وأستعين.

وقال ابن المبارك لمَّا نظر إلى شيءٍ من تفسيره: يا له مِن علَم لو كان له إسناد.

وقال مكيُّ بن إبراهيم عن يحيى بن شبلٍ: قال لي عبَّادُ بن كثيرٍ: ما يمنعُك من مقاتلٍ؟ قلتُ: إن أهل بلادنا كرهوه، فقال: لا تكرهْه، فما بقي أحدٌ أعلمَ بكتاب الله تعالى منه.

وبعضُهم لم يقبل تفسيرَه كإبراهيمَ الحربيِّ، فقد ذكر عنه الحافظ في «التهذيب» قوله: وإنما جمع مقاتلٌ تفسيرَ الناس وفسَّر عليه من غيرِ سماع، قال إبراهيم: ولم أُدخلْ في تفسيري عنه شيئاً، وقال إبراهيم: تفسيرُ الكلبي مثلُ تفسيرِ مقاتلٍ سواءٌ.

قلت: وكلَا المقاتلَين قد رُوي عنه أقوالٌ في التفسير أوردها المفسِّرون في كتبهم، وقد رأيتُ من خلال العمل في هذا التفسير وقوعَ خلطٍ أيضاً بينهما، فما ينسبُه بعضهم للأول ينسبه غيرُه للثاني، كما أن كثيراً مما يُنسب لابن حيانَ وجدتُه مذكوراً في التفسير المنسوبِ لابن سليمان، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] قال المؤلف: وقال مقاتل بن سليمان رحمه الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾: على المعرفة ولم يرتدُّوا.

وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان»، وذكره عنه الواحديُّ في «البسيط» والبغويُّ في «تفسيره»، أما الثعلبيُّ فعزاه في «تفسيره» لمقاتل بن حيان.

ثم ذكر المؤلِّف بعده عن مقاتل بن حيَّان: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾: على أنَّ اللهَ ربُّهم.

وهذا على العكسِ مما قبله ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» عن مقاتل بن سليمان.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨] قال: وقال مقاتل بن حيَّان: وحمل نوحٌ في السَّفينة معه ثمانين نفسًا؛ أربعين رجلًا، وأربعين امرأةً، وفيهم أولادُه الثَّلاثة.

وهذا ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان».

ـ وفي موضعٍ آخر قال المؤلِّف: وقال مقاتل بن حيَّان: لَمَّا نزل قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ﴾ [الفتح: ٥]، قال عبد الله بن أُبَيٍّ: ما نحن وهم ـ يعني: الصَّحابةَ ـ إلا في منزلةٍ واحدةٍ، فأنزل الله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ﴾ [الفتح: ٦].

وهذا أيضاً ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان»، وذكره عنه ابن الجوزيِّ في «زاد المسير».

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير: ٢٥] قال المؤلف: وقال مقاتل بن حيَّان: رأى رسول الله ﷺ جبريلَ من قِبَلِ المشرقِ بأجياد وهو بمكَّةَ قد ملأ الأفقَ بكَلْكَله، رجلاه في الأرض، ورأسُه في السَّماء، جناحٌ له بالمشرق، وجناحٌ له بالمغرب، فغُشِيَ عليه فتحوَّل جبريل في صورة بني آدم، فقيل لرسول الله ﷺ لَمَّا رجع: ما رأيناك منذ بُعِثْتَ أحسنَ منك اليوم، فقال: «جاءني جبريل في صورته، فعَلِقني هذا من حسنه».

وهذا ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان».

ـ وفي موضع آخر قال المؤلف: وقال مقاتل بن حيَّان: ﴿كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩]؛ أي: مكتوبٌ لهم في ساق العرش، ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢١]؛ يعني: يشهدُ ذلك

الكتابَ سبعةُ أملاك من مقرَّبي أهلِ كلِّ سماءٍ حتَّى يُصعَد به إلى السَّماء، من كرامةِ المؤمن على الله تعالى.

وهو في «تفسير مقاتل بن سليمان».

ـ وفي قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]

ذكر المؤلِّفُ عن مقاتلٍ دون تعيينٍ: نزلتْ في ثلاثة نفَرٍ، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ بعَثَ سَرِيَّةً وأمَّرَ عليهم المنذرَ بن عمرٍو، فخرج بنو عامر بن صَعْصَعَةَ عند بئرِ مَعُونةَ، فرَصَدُوهم على الطريق وقتَلوهم، فرجعَ ثلاثةٌ منهم، فلمَّا دنَوا إلى المدينة خرَجَ رجلان مِن بني سُلَيمٍ صالَحا رسولَ اللهِ ﷺ، وقد كان أعطاهما وكسَاهما، فقالا: نحن مِن بني عامر؛ لأنَّ بني عامرٍ كانوا أقربَ إلى المدينة، فقتلوهما وأخذوا ثيابَهما، وجاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآيةُ.

وهذا الخبر ورد في «تفسير مقاتل بن سليمان»، وذكره عنه السمرقندي في «تفسيره».

لكن رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٣٠) عن مقاتل بن حيَّان.

وغيرُ هذا كثير، وإنما ذكرنا ما ذكرنا لتوضيحِ المسألة.

وتبقى هنا ملاحظةٌ أخيرة: وهي أنه يجب التفريقُ بين ما يرويه الضعفاءُ ممن ذكرنا كمقاتلٍ والكلبيِّ وبين ما يقولونه من التفسير، فبابُ التفسيرِ واسعٌ، وما دامت أقوالُهم لا تخرجُ عن الأصولِ فلا ضيرَ فيها واللهُ أعلم، بل كثيرٌ مما يذهبون إليه هو في الحقيقةِ من الوجوهِ المقبولة أو المستحسَنة، حتى رجَّح الماتريديُّ مرةً قول الكلبيِّ على قولِ سعيد بن جبيرٍ.

قال الماتريديُّ: قال سعيد بن جُبير رحمه الله: يُجمع بين أرواح الأحياء وبين

أرواح الموتى، يتعارفُ منها ما شاء الله أنْ يتعارف، ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ إلى أجسادها[1].

قال: وبهذا لم يُفْهَمْ شيءٌ مِن تأويل الآية.

قال: وقال الكلبيُّ: النائم مُتوفًّى حتى يرُدَّ الله إليه نفْسَه، وأمَّا التي يتوفاها حين موتها فإنه يقبِض الرُّوح والنَّفْس معاً، ويُرسل التي يتوفاها في منامها حتى تبلغَ أجلَها المُسمَّى، وهو الموت.

ويقول: إنما يقبِض الله مِن النائم النَّفْس لا الرُّوح.

ثم قال الماتريدي: وهذا الذي ذكره الكلبي أقربُ إلى تأويل الآية مِن الذي ذكرَه سعيدٌ...، إلى آخر كلامه.

فهذه بعضُ الملاحظات التي عرَضتْ لي خلالَ العمل في هذا التفسير، وقد كان البعضُ منها في البالِ قبلاً، لكنْ لم يتسنَّ لي التحقيقُ فيه، حتى يسَّره الله في هذا التفسير، الذي وقع فيه الإكثارُ من نقلِ أقوالِ السَّلف، فكان من ضمنِ ذلك أقوالُ الأعلامِ المتقدِّم ذكرُهم، وهو ما يسَّر الأمر عليَّ، واللهُ وليُّ التوفيق.

٤ ـ ردودُه على المذاهب الفاسدة والفرقِ الضالَّة.

من المعروفِ عن المؤلِّف رحمه الله التزامُه بعقيدةِ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ ودفاعُه عنها، وإبطالُ أقوال أصحابِ المذاهبِ الفاسدة، والفرقِ الضالة، وتفنيدُها بالحجة والبرهان.

وهو في تفسيرِه هذا لم يَدَعْ آيةً فيها ردٌّ على أهل الباطل، أو إبطالٌ لتأويلهم الفاسد، إلا بيَّن ذلك، مُثْبِتاً مذهبَ أهلِ الحقِّ فيها وأنه هو الصَّواب، وما عدَاه من

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٥).

تلك التأويلاتِ الفاسدةِ فضلالٌ وانحرافٌ عن الصَّواب، فهو يردُّ على الجهميَّةِ والجَبْريَّة والكرَّاميَّة والمعتزلةِ وغيرهم.

فمن ردِّه على الكرَّامية: ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ٨] قال المؤلفُ: أخبرَ عنهم أنهم يدَّعون ذلك، ثم قال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: ليسوا بمؤمنين، فنَفَى الإيمانَ عنهم لأنه لم يكن في قلوبهم، وقد قال الله تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وبَطَل بهذا قولُ الكرَّامية: إنه مجرَّد الإقرار، فإن المنافقين أقرُّوا بذلك والله تعالى نفَى عنهم ذلك.

وردَّ مذهب الجبرية والقدرية: وذلك في قوله: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

فقال: في الآيةِ دليلُ أهل السُّنَّة والجماعة، فإنه قال: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾، وهو إثباتُ فعلِ نفسِه، وقال: ﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وهو إثباتُ فعلِ العبد، فدلَّ على أنَّ العبدَ فاعلٌ، واللهَ تعالى لفعل العبد خالقٌ، وبطَل قولُ الجبرية أنْ لا فعلَ للعبد، وقولُ القدريَّة أنْ لا صنعَ لله في فعل العبد.

وعلى الإباحية من جهلة الصوفية: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم﴾ [البقرة: ٢٩] فقال: ثم إنَّ أهلَ الإباحة مِن المتصوِّفة الجَهَلةِ حملوا اللامَ في قوله: ﴿لَكُم﴾ على الإطلاق، والإباحةَ على الإطلاق، وقالوا: لا حَجْر ولا حَظْر، ولا نهيَ ولا أَمْرَ، وإذا تحقَّقت المعرفةُ وتأكَّدت المحبَّةُ، سقطت الخدمةُ وزالت الحرمةُ، فالحبيبُ لا يُكلِّف حبيبَه ما يُتعبه، ولا يَمنعه ما يُريده ويَطلبه، وهذا منهم كفرٌ صُراح، وخروجٌ مِن الإيمان بإفصاح، فقد نهى اللهُ تعالى وأَمَر، وأباح وحظر،

ووعد وأَوعد، وبشَّر وهدَّد، والنصوصُ ظاهرة، والدلائلُ متظاهرة، فمَن حَمل هذه الآيةَ على الإباحة المطلَقة، فقد انسلخَ مِن الدِّين بالكليَّة، فالمحملُ الصحيحُ ما قاله ابنُ عباس رضي الله تعالى عنهما: خَلَق لمنافعكم ومصالحكم.

وردَّ مذهب الجهميَّة بأبسطِ طريق: وذلك عند قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨ ـ ٣٩] فقال: وفي الآيتين نقضُ قولِ الجهميَّة: أنَّ الجنَّة والنَّار يَفنيان ويَنقطع ما فيهما، فإنَّ الله تعالى نفى الخوف والحزنَ عنهم، ولو كانتا تَفْنيَان لكان لأهل الجنَّة أشدُّ الخوف والحزن.

وردَّ على الرافضة بالدليلِ الذي لا مَدْفعَ له: وذلك في قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] فقال: وتعلَّقت الروافضُ بظاهرها لإباحةِ الجمع بين تسعِ نسوةٍ، فإنَّه ذُكر بالواو لا بـ(أو)، وذلك للجمع.

لكنَّا نقول: هذا على البدلِ دون الجمع في حالةٍ واحدةٍ؛ أي: فانكحوا مثنى، وانكحوا ثُلاثَ، بدل مثنَى، وانكحوا رُباع، بدل مثنَى وثلاثَ.

والدَّليل على أنَّ المراد هذا لا غيره: أنَّه لو قيل هذا في الأمر بشيءٍ آخرَ لم يكنْ إلَّا على هذا الوجه، فإنَّه إذا قيل لقوم: ادخلوا الدَّار مثنَى وثُلاثَ ورُباعَ، لم يكن أمرًا بدخول تسعةٍ منهم جملةً في حالةٍ، بل هو أمرٌ لهم أن يدخلوا اثنين اثنين، ولهم أن يدخلوا بدلَ ذلك ثلاثةً ثلاثةً، ولهم أن يدخلوا بدلَ ذلك أربعةً أربعةً، وكذا في كلِّ موضعٍ، هذا هو قضيَّة اللُّغة.

وفي موضع آخر: وقالت الروافضُ في قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾: لا

يخلو إما أن يكون حزنُ أبي بكر طاعةً أو معصيةً، فإن كان معصيةً ففيه نقصانه لا فضلُه، وإن كان طاعةً فلمَ نهاه رسول الله ﷺ؟

قلنا: لم يكن حزنُه سوءَ الظنِّ بربِّه تعالى، ولا استبطاءً لنصره، لكنْ شفقةً على رسول الله ﷺ وحبيبه، وكان ذلك شيئاً نشأ عن طبعه ولا نقصَ في مثله.

ثم نعارضُهم بخوفِ موسى وهارونَ عليهما السلام، وقال الله تعالى لهما: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦] إلى آخر السؤال حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، على أنهما قالا: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ﴾ [طه: ٤٥]، وليس في القرآن أن أبا بكر رضي الله عنه قال: إني أحزنُ.

أما ردودُه على المعتزلة فكثيرةٌ جدًّا، فهو لا يَدَعُ آيةً لهم فيها تأويلٌ منحرفٌ لإثباتِ مذهبهم الفاسد إلا رد عليهم:

ـ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤] قال: أي: هُيِّئت وخُلقت... والآيةُ ردٌّ على المعتزلة، فإنهم قالوا: النار والجنةُ لم يُخلقا بعد، وإنما يُخلَقان يوم القيامة عند حضور أهلهما، وقولُهم باطلٌ مردودٌ بهذه الآية، ولقوله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ونحوِهما من الآيات.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة: ١٧] قال: وقيل: أي: لم يُخرجهم منه، كما يقال: تركَه في الدار؛ أي: لم يُخرجْه منها، وهذا تأويل المعتزلة؛ فإنهم لا يقولون بخلقِ أفعال البشر من الله تعالى، والصحيحُ من التأويل عند أهل السُّنَّة والجماعة: ﴿وَتَرَكَهُمْ﴾؛ أي: جعَلهم في الظلمات، وهو كقوله: ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]؛ أي: جعَله صلداً.

ـ وردَّ مذهب الجبرية والمعتزلة بكلماتٍ بسيطةٍ واضحةٍ لا لبس فيها لمريدِ الحقِّ والساعي إليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فقال: ثم في مجموعِ الكلمتين تحقيقُ مذهب أهل السُّنة والجماعة، وهو إثباتُ الفعل من

العبدِ والتوفيقِ من الله تعالى، وفيه ردٌّ على الجبريَّة والمعتزلةِ:

فالجبريةُ يَنْفون الفعلَ من العبد، وقولُه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يردُّ عليهم ذلك.

والمعتزلةُ لا يَرون التوفيقَ من الله، وقولُه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يردُّ ذلك عليهم.

وأهلُ السنَّة والجماعةِ يقولون: من العبد الفعلُ واختيار الفعل، ومن الله تعالى خلقُ ذلك الفعلِ ومشيئةُ ذلك الفعلِ، والآيةُ تدلُّ على ذلك كلِّه.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [البقرة: ٣] قال: ثم الرِّزقُ يكون هو التغذيةَ عندنا، وهو عند المعتزلة: التمليكُ، فالحرامُ عندهم ليس برزقٍ؛ لأنه ليس بمِلكٍ، وهذا في غايةِ الفُحش منهم، وهو نهايةُ الضَّلال؛ فإنه ردُّ كتاب الله تعالى، قال عزَّ وعلا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

والحيواناتُ عندهم ليست تأكلُ من رزقِ الله تعالى؛ لأنها لا تملك، وآكِلُ الحرام عندهم وكاسبُه في جميع عمره لم يأكلْ من رزقِ الله شيئاً، ولم يَرزقه اللهُ عزَّ وجلَّ شيئاً.

والأمثلةُ لا تحصى، وإنما أوردنا منها ما فيه كفايةٌ لبيان المراد.

٥ ـ منهجه في النحو:

وملخَّص منهج المؤلِّف في النحو الذي انتحاهُ في تفسيره: أنه يُعنَى بالإعراب، لكنه لا يستقصِي كما هي طريقةُ أبي حيَّان والسَّمين الحلبي، ويتابعُ مذهبَ الكوفيين في بعضِ المسائل وخصوصاً الفراء، كما يُعنَى أيضاً بالفوائد النحوية:

فمن أمثلة عنايته بالإعراب وشرحه وتوضيحه:

ـ قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن ٱلْقُرُونِ﴾ [طه: ١٢٨] قال: ﴿كَمْ﴾ في موضع الرفع، وتقديره: كثرةُ مَن أهلكنا من القرون، وهو فاعلُ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾، والمفعول مضمَرٌ؛ أي:

أفلم يبيِّن للمشركين كثرةُ القرون المهلَكين بمخالفة الأمر أن حالهم كذلك.

ويجوز أن يكون الفاعل هو القرآن، و﴿كَمْ﴾ في موضع النصب لأنه مفعولٌ؛ أي: أفلم يبيِّن القرآنُ للمشركين كثرةَ مَن أهلكنا.

ومن ذلك العناية بالتقديرات عند القول بأن في الكلام حذفاً:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] قال: قيل: جوابُه محذوفٌ في آخرِه، وهو: أَجَلُّ مَثَلٍ.

وقيل: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾؛ أي: صفةُ الجنَّة، كقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم: ٢٧]، وعلى هذا فيه مُضْمَرٌ أيضًا، تقديرُه: صفةُ الجنَّة التي وُعِدَ المتَّقون [أنها] تجري مِن تحتِها الأنهارُ.

وقيل: الإضمار في أوَّلِه: وفيما يُتْلَى عليك مثلُ الجنَّةِ.

وقيل: إضمارُه: هذا مثلُ الجنَّة، ذكر وعدَ الأولياءِ بعدَ ذكرِ وعيدِ الأعداءِ.

ـ وفي قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠] قال: وجوابُه محذوفٌ ها هنا؛ قال الزجَّاج: هو: أتؤمنون؟

وقيل: أفما تَهْلِكون؟!

وقيل: أفلا تكونون ظالمين؟! يدلُّ عليه ما بعده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: أي: ما داموا على ظُلْمهم.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ [القصص: ٦٤] قال: قيل: هاهنا مضمر: فوَدُّوا لو كانوا مهتدين إلى الإسلام في الدنيا.

وقيل: الإضمارُ في آخره: لو أنهم كانوا يهتدونَ لخرَجوا من العذاب الذي رَأَوا.

وقيل: بل المضمَرُ في آخره: لو كانوا يهتدون لَمَا رأوا ذلكَ العذاب.

ومن أمثلةِ عدم استقصائه:

ـ ما جاء عند قوله تعالى: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥] قال: قيل: هو نصبٌ على التفسير؛ كقولك: هذا لك هبةً منِّي.

وقيل: هو مصدرُ فعلٍ مدلولٍ عليه أو مضمرٍ؛ لأن قوله: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ (ولأدخلن) بمعنى: لأُثِيبنَّ بهذا، والإضمارُ: يثابون بذلك ثواباً.

فهذا ما ذكره من إعراب واقتصر عليه، وله عند الاستقصاء وجوهٌ أُخرُ، فقيل: هو حال من ﴿جَنَّاتٍ﴾ لوصفها؛ أي: مُثاباً بها، أو من ضمير المفعول في ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾؛ أي: مُثابين، وقيل: إنه بدل من ﴿جَنَّاتٍ﴾ على تضمين ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ﴾ معنى: ولأعطينَّهم، وقال الكسائيُّ: إنه منصوب على القطع. وفسَّر بعضهم القطعَ بالنصب على الحال[1].

ومن متابعته للكوفيين والفرَّاء:

قوله بكون الألف واللام بدلاً عن الإضافة:

ـ كما في قوله تعالى: ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ [محمد: ٤] قال: أي: فشُدُّوا وَثاقَهم، والألفُ واللامُ بدلٌ عن الإضافة ها هنا.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] قال: أي: منعَ نفسَه من اتِّباع هواها ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] قال: أي: مأواه، والألفُ واللَّام بدل الإضافة في ﴿الْمَأْوَىٰ﴾، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] قال: ﴿الْفُؤَادُ﴾: أي:

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (٦/ ٣٦٨).

فؤادُه، بالألف واللَّامِ بدلٌ عن الإضافة؛ كقوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]؛ أي: مأواه.

قلت: وهذا مذهبٌ كوفيٌّ، قال الفراء: والعربُ تجعل الألف واللام خَلفًا من الإضافة فيقولون: مررتُ عَلَى رجلٍ حَسَنَةٍ العَيْنُ قَبِيحِ الأنفُ، والمعنى: حسنةٍ عَيْنُه قَبِيحٍ أنفهُ، ومنه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1].

هذا قول الفراء، وأما البصريون فالتقدير عندهم: هي المأوى له[2].

ومن ذلك أخذُه بمذهب الكوفيين في مسألةِ النصب على الصَّرف:

ـ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] قال: هو نصبٌ على الصرف كما في قول الشاعر:

لا تنـهَ عـن خلـقٍ وتأتـيَ مثلَه ... عـارٌ عليـك إذا فعلـتَ عظيـم

قال: ومعنى الصرفِ: أنه مصروفٌ عن معنَى مطلقِ العطف، فإنه ليس معناه النهيَ عن إتيان مثله قصدًا كالنهي عن النهي عن خُلُق، بل معناه النهيُ عن الجمع بينهما، وكذا معنى الصرف في هذه الآية ليس هو مطلقَ نفي علمِ الصابرين كنفيِ علمِ المجاهدين، بل معناه نفيُ اجتماعهما.

قلتُ: وهذا أيضاً مذهبٌ كوفيٌّ، قال ابن الأنباريِّ: ذهب الكوفيُّون إلى أن الفعل المضارعَ في نحوِ قولكَ: (لا تأكلِ السمكَ وتَشْرَبَ اللبنَ) منصوبٌ على الصرف. وذهب البصريون إلى أنه منصوب بتقدير (أنْ)، وذهب أبو عُمَرَ الجَرْمِيُّ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٨).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٨١).

من البصريين إلى أن الواو هي الناصبة بنفسها؛ لأنها خرجت عن باب العطف[1].

ومن ذلك القول بزيادة الواو:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الصافات: ١٠٤] قال المؤلف: قال الفراء وغيره: الواو مُقحَمةٌ زائدةٌ، ومعناه: ناديناه، جواباً لقوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾، وهو كقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وكقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٥].

فذكر قول الفراء ولم يذكر غيره، وهو مذهبٌ كوفي، ومذهبُ البصريين أن يقدَّر في هذه الآيات محذوفٌ يُعرفُ مِن سياق الكلام، وتكونُ الواوُ عاطفةً عليه كما هو الأصلُ فيها، فقدَّروا في هذه الآية جوابَ «لما»: سُعِدَا وأَجزلَ لهما الثواب، ونحوَه من التأويلات، قالوا: والقول بالتقدير خيرٌ من الحكم بالزيادة، لا سيما في كتاب الله تعالى[2].

أمَّا الفوائدُ النحويةُ عند المؤلِّف فأكثرُ من أن تُحصى:

ـ فمن ذلك كلامُه في أولِ سورةِ البقرة عن (الذين) حيث قال: وأصلُه: (اللذِينَ) بلامينِ؛ إحداهما: لامُ التعريف، والثانية: لامُ (لذ)، وإنما اكتُفي في الكتابة بواحدةٍ تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ولهذا تُكتب في التَّثنية في (اللذانِ) بلامين؛ لأنه لم يَكثر استعمالُه.

ثم قال: وإنما لم يُعرب لأنه موصولٌ لا يَتمُّ إلا بصلته، فصار لفظُه كأنه بعضُ الكلمة، ولا إعرابَ إلا لتمامِ الكلمة في آخرها، فأمَّا (اللَّذانِ) في التثنية فإنما أُعرب ـ

(١) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف» لابن الأنباري (٢/ ٤٥٢).

(٢) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٩٢)، و«الدر المصون» للسمين الحلبي (٩/ ٣٢٤).

فكان رفعُه بالألف، ونصبُه وخفضُه بالياء ـ لأن منعَ الإعراب كان لإلحاقه بالحروف، ولا تثنيةَ للحروف فلم تُلحق بها، بل تحقَّق فيه معنى الاسمِ فأُعرب لذلك.

ـ ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٣] قال: قُرئ فيه بالرَّفع على الاستئناف، وبالنصب على المدح، وهذا شاذٌّ، وبالخفض على البَدَل، وهو قراءة الزهريِّ، وهو كما قال كُثَيِّر به:

وكنتُ كذي رِجلَيْن رِجْلٌ صحيحةٌ ... ورجلٌ رَمَى فيها الزمانُ فَشُلَّتِ

يُنشَد بالرَّفع والجرِّ معاً.

ولو قلتَ: مررتُ بثلاثةٍ: صريعٌ وجريحٌ، واقتصرتَ عليهما، لم يجزْ بالجرِّ؛ لأنَّك لم تَستوفِ العددَ، ويَجوز بالرَّفع، وتقديره: منهم صريعٌ، ومنهم جريحٌ، وإذا قلتَ: مررتُ بثلاثةٍ؛ صريع وجريح وسليم، جاز فيه الرَّفع والجرُّ، فإنْ زدتَ فيه: اقتَتَلوا، جاز فيه الرَّفعُ والجرُّ والنصبُ.

فانظر إلى هذا التفصيل والتمثيل الذي لا تجده عند غيره.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: ٣] قال: منصوباتٌ بالترجمة عن ﴿مَا﴾، ولا تنوينَ فيهنَّ لأنَّها غيرُ منصرفة، فإنَّها معدولةٌ عن اثنين وثلاثٍ وأربعٍ، ومعناه: اثنين اثنين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا، ومع العدل فيها معنًى آخرُ، وهو وهمُ الألف واللَّام؛ لأنَّها كالمعارف، ولهذا لا إضافة فيها، فامتنَع صرفُها لذلك.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣] قال: حُذف النون من (يكن) تخفيفاً لكثرة الاستعمال؛ لأن (كان) و(يكون) أمَّ الأفعال؛ لأن (ضرَب) في معنى: كان ضرَب، و(يضرب) في

معنى: يكون يضربُ، فلما كانت أمَّ الأفعالِ وكثُر استعمالُها للحاجةِ إليها احتَملتْ هذا الحذفَ، ولم يَحتمِلْه نظائرُها مِن: لم يَصُن ولم يَخُن.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] قال: يُقرأ بالياء والتاء[1]، فمَن أنَّث فلأنَّ الشفاعةَ مؤنَّثةٌ لفظاً، وأمَّا التذكيرُ فلأنَّ تأنيثَ ما ليس بذي روحٍ غيرُ حقيقيٍّ، ولأنَّ الفعلَ مقدَّمٌ على الاسم، ولأنَّ بينهما حائلاً.

وفي القرآن: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧]، وفي آيةٍ أخرى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٩٤]، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ [الممتحنة: ٤] ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٧] وقال: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٧].

والحاصل: أنَّ ما كان تأنيثه ليس بحقيقيٍّ فتأنيثُه وتذكيره جائزٌ إنْ تقدَّم أو تأخَّر، وكان بينهما حائلٌ أو لم يكن، وفي الحقيقيِّ يجوز تأنيثُها بكلِّ حالٍ، وتذكيرُها إذا تقدَّم الفعلُ وبينهما حائلٌ، ولا يَحْسُنُ بغير حائلٍ.

ـ ومن أجمل فوائده: ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟﴾ [الحجر: ٣] قال: جُزِمَ ﴿يَأْكُلُوا۟﴾ لأنَّه جوابُ الأمرِ، وكذا ما بعدَه، وفي قولِه: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] لم يُجزَمْ لأنَّه حالٌ لا خبرٌ، وتقول العربُ: دَعْ زيدًا يَنَمْ، ودَعْ زيدًا ينامُ، فإذا كانَ غيرَ نائمٍ نقولُ: دَعْ زيدًا يَنَمْ جوابًا للأمر، وإذا كان نائمًا تقولُ: دَعْ زيدًا ينامُ؛ أي: قَرِّرْهُ على حالةِ النَّوم.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ

---

(١) قرأ بالياء ابن كثير وأبو عمرو، وقرأ باقي السبعة بالتاء.

﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡۦِۦَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣] قال: الباءُ زائدةٌ، وإنما أُدْخِلَتْ لأنَّ معنى قولِه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾: أوَليسَ، وذاك تدخُلُ فيه الباء.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ [ق: ١] قال: اختُلِفَ في جواب هذا القسَمِ، وأصلُه: أنَّ جوابَه بأحدِ خمسةِ أشياءَ:

(إنَّ) المُشَدَّدة؛ كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

و(ما) النَّافية: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٣].

واللَّامُ المفتوحةُ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الفجر: ٩٢].

و(إنْ) الخفيفةُ بمعنى (ما): ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].

و(لا): ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ﴾ [النحل: ٣٨].

قال: وزاد البَعْلِيُّ على هذا:

(قد)؛ كقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا... قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

و(بل)؛ كما في قوله في هذه السورة: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ... بَلۡ عَجِبُوٓاْ﴾.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] قال: وفي زيادة الواو أقاويلُ:

قيل: الواو تدخل للمبالغة في المدح للمنعوت واحداً كان أو جماعةً، قال تعالى: ﴿وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقيل: لأن الأمر والنهيَ متقابلان، والمعروفَ والمنكرَ كذلك، فكانا كالمتعاندَين[1]، فأَدخل بينهما حرفَ العطف كما في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم: ٥].

---

(١) في نسخة: «كالمتغايرين».

وقيل: هي واو الثمانية؛ لأنها الصفةُ الثامنة، والعربُ تخصُّ ذلك بالواو، كما في قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وقوله: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]؛ لأن أبواب الجنة ثمانيةٌ.

ولا أصل لهذا القول عند المحققين، فليس في هذا العدد ما يوجب ذلك ولا استعمالَ على الاطِّراد كذلك، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣] بغير واو، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ الآيةَ بغيرِ واوٍ في الثامن.

ومن فوائده جمع المعاني أو الاستعمالات لكلمةٍ أو حرفٍ:

ـ من ذلك: الكلامُ على (أم) في أول سورة البقرة، حيث قال: وقوله تعالى: ﴿أَمْ﴾: هذه الكلمةُ في القرآنِ على أربعة أوجُهٍ:

أحدها: عطفٌ على ما دخله ألفُ استفهامٍ كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] ثم قال: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٧].

والثاني: ابتداءُ استفهامٍ كالألف: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [النساء: ٥٣]؛ أي: ألهم؟

والثالث: بمعنى (بل): ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ [الزمر: ٥٢]؛ أي: بل أنا خير.

والرابع: بمعنى (أو) من غير استفهامٍ كما في هذه الآية: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [يس: ١٠]؛ أي: أو لم تنذرهم، فلا استفهامَ في هذه الآية.

ـ ومن فوائِده تعديدُ استعمالات الفعل (كان)، فقال: وكلمةُ (كان) قد تَجيءُ للماضي، كما في قوله: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [النمل: ٤٨].

وقد تجيءُ للمستقبل، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦].

وقد تجيءُ للحال، كما في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

وقد تجيءُ جامعاً لذلك كلِّه، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]؛ أي: لم يَزَلْ رحيماً بهم في الأزلِ وفي الحالِ وفي الأبد.

وقد تَجيءُ بمعنى: صار، كما في قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣].

وقد تجيء بمعنى: وقع، كما في قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ـ ومن ذلك ذكر معاني (أو) في القرآن، فقال في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩]: (أو) جاءت في القرآن لثلاثةَ عشَر معنًى:

أحدها: للشكِّ، قال تعالى: ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩].

وللتشكيك: قال تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وهذا غيرُ الأول، هذا إخفاء الحال على السامع من غير شكٍّ من القائل.

وللتخيير: قال تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

وللإباحة: قال الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] وهذا غير التخيير، ذاك بيانٌ أن الواجب أحدُها لا الكلُّ وله الخيارُ، وفي الإباحةِ له أن يفعلَهما وله أن يفعل أحدهما.

قلت: وهذا من أحسن ما رأيتُ في التفريق بين الشكِّ والتشكيك، والإباحةِ والتخيير.

ثم قال: وللتفصيل: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية [المائدة: ٣٣]، كلُّ عقوبةٍ منها لجنايةٍ غيرِ الأخرى.

وبمعنى الواو: قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وبمعنى: بل، قال تعالى: ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

وبمعنى: ولا، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

وبمعنى: حتى، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

إلى آخر المعاني الثلاثة عشر.

ومثله كثير، وفيما ذكرنا كفاية.

٦ ـ الفقه في تفسير «التيسير»:

لم يقفِ المؤلِّفُ عند الأحكام الفقهيةِ كثيراً، بل كان منهجُه الإشارةَ إليها دونَ التوسُّع فيها، ثم الإحالةَ إلى كتب الفقه بشكلٍ عامٍّ لمن أراد التوسُّع، أو يخصص بعضَ كتبه التي ألَّفها في الفقه، وهو في الغالبِ يكتفي بعرضِ أقوالِ أئمَّةِ مذهبه أبي حنيفةَ وأبي يوسفَ ومحمد بن الحسن وزُفَر، مع الإشارةِ لاختلافهم إن كان:

ـ ففي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [النساء: ٦] قال: اختلفَ العلماءُ فيمَنْ بلغَ مبذِّرًا سفيهًا؛ هل يُحجَر عليه؟

وأراد بالعلماءِ علماءَ مذهبه، فإنه لم يذكر عَقِبه سواهم، ثم إنه اكتفَى بذكر أقوالهم مختصرةً جدًّا، حيث قال:

فأبو حنيفة رحمه الله لا يرى الحجرَ عليه في تصرُّفاته، وأبو يوسف رحمه الله يقول: لا يَنحجِر بذلك، لكن يستحقُّ حجرَ القاضي عليه، وقال محمَّد رحمه الله: يَنحجِر بسفهه.

ثم ختم كلامه في المسألة بقوله:

ويُعرف ذلك في الفقهيَّات، وقد أوضحناه في «حصائل المسائل».

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ [النساء: ٢٣] قال بعد ذكرِ بعضِ ما يتعلَّق بالآية: والرَّضاعُ في الكبر لا يحرِّم عندنا؛ لقوله عليه السلام: «الرضاعُ ما أنبتَ اللَّحمَ، وأنشزَ العظمَ»[1]، وذلك في الصَّغير، وذاك في سنتين عند أبي يوسفَ ومحمَّد رحمهما الله، وسنتين ونصفٍ عند أبي حنيفة رضي الله عنه، وثلاثِ سنين عند زُفَرَ رحمه الله، ويُعرف ذلك في الفقهيَّات.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١]: قال: وهؤلاء مصارفُ هذا المال بصفةِ الحاجة، فلا يَحلُّ للغنيِّ منهم، ويجوز الصرفُ إلى صنفٍ واحدٍ منهم، وهو بيانُ الصرف دون الاستحقاق كما عُرف في مصارف الصدقات، وهذا عندنا.

وأربعة أخماسه يُقسم بين الغزاة: للفارسِ سهمان وللراجل سهمٌ عند أبي حنيفة، وهو قولُ أكثرِ الصحابة رضي الله عنهم، وفيه أكثرُ الأحاديث، وعند أبي يوسف ومحمدٍ رحمهم الله: للفارس ثلاثةُ أسهم سهمٌ له وسهمان لفرسه، وهو قولُ بعض الصحابة، وفيه بعض الأحاديث.

ثم فيمَن شهد الأمر مَن لا يستحِقُّ السهم ويُرضَخُ له، ومنهم مَن لا يُرضخ، وفي موضع الرَّضخ ومقدارِ الرضخ والمالِ الذي منه الرضخُ كلامٌ، وشرحُه في الفقهيات، وقد أشبَعْنا الكلام فيه على التهذيب والترتيب في «حصائل مسائل الفقه».

فهذا منهجُه رحمه الله في آيات الأحكام، وهو كما يَظهرُ من الأمثلة التي ذكرناها

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٩) و(٢٠٦٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قوله: أنشز العظم؛ أي: رفعه وأعلاه وأكبر حجمه، ويروى بالراء؛ أي: شده وقواه.

ومن غيرِها قائمٌ على الاختصار، والاقتصارِ على أقوالِ أئمةِ المذهب، والإحالةِ في التفاصيل على كتبِ الفقه، ومنها كتبُه التي ألَّفها، وخصوصاً «حصائل المسائل»، وهو ـ والله أعلم ـ قد تناول فيه بسطَ مسائل الفروع وتفصيلَها.

٧ ـ منهجه في القراءات:

أمَّا القراءاتُ فالمؤلفُ رحمه الله له عنايةٌ كبيرة بها، وهو قد انتهَج فيها طريقةً ثابتةً من أولِ الكتاب إلى آخره، وهي ذكرُ القراءاتِ السبعةِ في الغالب، وفي أحيانٍ قليلةٍ يضيفُ باقي العشرة، لكنه لا يكتفِي بالإشارة إلى القراءةِ بل إنَّ له عنايةً خاصةً بتوجيهها وبيانِ ما أشكلَ، مع الدقَّة في عزوِ القراءة لقائليها من السبعة، أمَّا القراءاتُ الشاذةُ فقليلاً ما يتعرَّض لها، ومن أمثلة العناية بالقراءات عنده:

ـ قولـه تعالـى: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [النمل: ٢٤ ـ ٢٥] قـال: قرأ الكسـائي وأبـو جعفـر ورويـسٌ عـن يعقـوب بالتخفيـف[1]، ومعنـاه: (ألَا) كلمـة تنبيـهٍ، و﴿يَسْجُدُوا﴾ بمعنى: يا اسـجدوا، (يـا) نداءٌ والمنادى مضمـرٌ؛ أي: يا هؤلاءِ اسجُدوا للهِ، قال ذو الرُّمَّة:

أَلَا يـا اسْـلَمي يـا دارَ مَـيٍّ عـلى البِلَى ... ولا زالَ مُنْهَـلًّا بجَرْعائـكِ القَطْـرُ

وقرأ الباقون بالتشديد، وله وجوهٌ:

أحدها: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ ألَّا يَسجدوا.

والثاني: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أعمالَهم لئلَّا يَسجدوا.

والثالث: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ لئلَّا يَسجدوا.

---

(١) ويقف هؤلاء على (يا)، ويبتدئون: (اسجدوا) على الأمر.

والرابع: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ أنْ لا يَسجدوا، ومعناه: أنْ يسجدوا، و(لا) زائدة، كما في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ أي: أن تسجد.

والخامس: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لقُبْحِ أنْ لا يسجدوا لله، كما قالوا في قوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] أي: كراهةَ أن تضلُّوا، على الإضمار.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ [الأنفال: ١١] قال: قرأ عاصمٌ وابنُ عامر وحمزةُ والكسائيُّ بضمِّ الياء وتشديدِ الشين ونصبِ سينِ ﴿النُّعَاسَ﴾ من التغشيةِ وهي تعديةُ الغِشْيان.

وقرأ نافعٌ بضمِّ الياء وتخفيفِ الشين من الإغشاء، وهو للتعدية أيضاً، ولذلك نصَب هو ﴿النُّعَاسَ﴾ أيضاً.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿يغشاكم﴾ بفتح الياء والتخفيف وضمِّ سِين ﴿النعاسُ﴾ من الغِشْيان وهو لازمٌ، و﴿النعاسُ﴾ فاعل.

ويجدرُ التنبيه هنا على أن قولَه في آخر النصِّ: (وهو لازم) فيه نظر، فإن الفعل هنا متعدٍّ، ومفعولُه مذكورٌ معه، وهو الكافُ في (يغشاكم)، لكن الفرقَ عن القراءتين الأُخريين أنه فيهما متعدٍّ لاثنينِ، وهنا في (يغشاكم) تعدَّى الفعلُ لواحدٍ، ولعل هذا مرادُ المؤلِّف باللزوم؛ أي: التعدِّي لواحدٍ في هذه القراءة في مقابلةِ التعدِّي لاثنينِ في القراءتين الأُخريين.

والمؤلِّفُ رحمه الله دقيقٌ في عزو القراءاتِ السبعةِ لأصحابها مما يتوافَقُ مع المراجع الأساسية لهذه القراءات كـ«السبعة في القراءات» لابن مجاهد، و«التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرٍو الدَّاني، لكن لا يخلو الأمرُ من بعضِ السهو ـ وهو نادرٌ ـ كما في قوله: ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: ٩٨] قال: على قراءة المد: مستويةً على

الأرض، من قولهم: ناقةٌ دكاءُ؛ أي: لا سنام لها، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر، والتأنيثُ راجع إلى مؤنَّثٍ مضمَر؛ كأنه قال: جعله أرضاً دكَّاء، وقرأ الباقون غيرَ ممدودة بالتنوين.

كذا قال في نسبتها والصوابُ العكس، فقد قرأ ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وابن عامر بغير مدٍّ، وقرأ باقي السبعة ـ وهم حمزةُ والكسائيُّ وعاصم ـ بالمد؛ كما في «السبعة» و«التيسير».

وله تحقيقٌ في القراءات، ففي قوله تعالى: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] قال: ومَن تكَلَّفَ وقرأ: (عَبَاقِرِيّ) بالياء[1] ـ لِيَصِحَّ وَصْفُها بالحِسان جَمْعاً ـ لم يَنْفَعْه ذلك؛ لأنَّ المكانَ يَصيرُ جَمْعاً، فأمَّا المنسوبُ إليه فيبقى واحداً كـ«الجَوَالِقِيِّ»، إلَّا أنْ يُقْرَأَ: (عَبَاقِر) بدون الياء، فيصيرُ جَمْعاً، ولا ضَرورةَ إليه، فإنا قلنا: إنَّ العَبْقَرِيَّ جَمْعٌ، وواحدتُها: عَبْقَرِيَّةٌ.

وهناك قراءاتٌ من الشواذِّ ذكرها المؤلِّف ولم أجدها فيما توفَّر لديَّ من المصادر، ومنها عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣] قال: وفي مصحف حفصةَ رضي الله عنها: (وإذا كالوا لهم).

وفيما أوردناه كفايةٌ لبيان المراد، والله تعالى أعلم.

٨ ـ الإسرائيليات في هذا التفسير:

الإسرائيليات: جمعُ إسرائيليةٍ، نسبةً إلى بني إسرائيل، وهي معارفُ اليهودِ وثقافتُهم المتمثِّلةُ بالتوراةِ وشروحها، والأسفارِ وما اشتَملت عليه، والتلمودِ ـ

---

(١) وهي قراءة شاذة نسبت لجمع من السلف، كما نسبت للنبي ﷺ في خبر، لكنه لم يصح، وسيأتي تفصيل ذلك في مكانه.

وهي التوراةُ الشفهيةُ، وهو مجموعةُ قواعدَ ووصايا وشرائعَ دينيةٍ وأدبيةٍ ومدنيةٍ، وشروحٍ وتفاسيرَ وتعاليمَ ورواياتٍ كانت تُتناقَل وتُدرَّس شفهيًّا من حينٍ إلى آخر ـ وشروحِه، والأساطيرِ والخرافات، والأباطيلِ التي افترَوها أو تناقلوها عن غيرهم، وهذه كلُّها كانت المنابعَ الأصلية للإسرائيليات التي زخرت بها بعضُ كتبِ التفسيرِ والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المنابعُ إن كان فيها حقٌّ ففيها باطلٌ كثير، وإن كان فيها صدقٌ ففيها كذبٌ صُرَاح، وإن كان فيها سمينٌ ففيها غثٌّ كثير، فمِن ثَم انجرَّ ذلك إلى الإسرائيليات.

وقد يتوسَّع بعضُ الباحثين في الإسرائيليات، فيجعلُها شاملةً لِمَا كان من معارف اليهود، وما كان من معارفِ النصارى التي تدور حولَ الأناجيل وشروحها، والرسلِ وسيَرهم، ونحوِ ذلك؛ وإنما سمِّيت إسرائيلياتٍ لأن الغالبَ والكثيرَ منها إنما هو من ثقافةِ بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم.

والحق: أن ما في كتب التفسيرِ من المسيحيَّات أو من النصرانيَّات هو شيءٌ قليلٌ بالنسبةِ إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكادُ يُذكر بجانبها، وليس لها من الآثارِ السيئة ما للإسرائيليات؛ إذ معظمُها في الأخلاق، والمواعظِ، وتهذيبِ النفوس، وترقيق القلوب[1].

قلتُ: وأخبثُ الإسرائيلياتِ وأكثرُها خطراً هو تلك التي يُخلط فيها بعضُ آيات القرآن، فلا شكَّ أنها مِن وضعِ كذابٍ خبيثٍ؛ لأنه أراد بتضمينه إياها آياتٍ من القرآن إيهامَ رفعها، ودفعَ الشكِّ عنها، وهذا أسلوبٌ لجأ إليه بعضُ الوضَّاعين بأنْ خلطوا مع الإسرائيلياتِ بعضَ ما ورد في القرآن والسنَّة؛ ليلبِّسوا على العامَّة أنها ليست من الإسرائيليات، وليست مما يقال بالرأي، وبالتالي فهي من المرفوع،

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ١٢ ـ ١٤).

فينفِّقوا بذلك أكاذيبَهم وأباطيلهم، ويدسُّوا من خلاله شُبَههم، وسيأتي بعض الأمثلة على هذا ضمن هذا الفصل.

وقد كثُر في كتب التفسير إيرادُ الإسرائيليات، وأكثرُها كما تقدَّم طامَّاتٌ لم ينبِّه ناقلوها على أصله، ولم يُوْقَف على قائله، فكانت مثاراً للشكِّ والطعن والتقوُّلِ على الإسلام ونبيِّه ﷺ.

لكن قد نبَّه أبو شهبة رحمه الله هنا إلى مسألةٍ مهمةٍ فقال: وأحبُّ أن أنبِّهَ أنه ليس معنى أنَّ هذه الإسرائيلياتِ المكذوباتِ والباطلاتِ مرويةٌ عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالِهم، أنها مِن وضعِهم واختلاقِهم، كما زعم ذلك بعضُ الناسِ اليومَ، وإنما معنى ذلك: أنهم هم الذين روَوْها، ونقلوها لبعضِ الصحابة والتابعين من كتبِ أهل الكتاب ومعارِفهم، وليسوا هم الذين اختلقوها، وإنما اختلَقَها وافْتَجَرها أسلافُهم القدماء.

ولم يقلْ أحدٌ من أئمةِ الجرح والتعديلِ على حصافتهم وبُعد نظرهم: إن كعباً ووهباً وعبد الله بنَ سلامٍ وتميماً الداريَّ وأمثالَهم كانوا وضَّاعين، يتعمَّدون الكذب والاختلاقَ من عند أنفسِهم، وإنما الذي قالوه عنهم: إنهم كانوا هم الواسطةَ في حمل ونقلِ معارفِ أهل الكتاب إلى المسلمين، وإن البعضَ رواها عنهم، فليس الذنبُ ذنبَهم، وإنما الذَّنبُ ذنبُ مَن نقلها ورواها عنهم من غيرِ بيانٍ لكذبها وبُطلانها[1].

ووهبٌ هو عالمُ أهلِ اليمن، روَى عن ابن عُمرَ وابن عباسٍ وجابرٍ وغيرِهم، وكان ثقةً، توفِّي سنةَ أربعَ عشرةَ ومئةٍ، وقد رُوي عنه في التفسير رواياتٌ كثيرةٌ جدًّا، مما في كتب أهل الكتاب.

---

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ٩٦ ـ ٩٧).

وكعبُ الأحبار روَى عن النبيِّ ﷺ، ولكنه مرسل؛ لأنه لم يلقَ النبيَّ ولم يَسمع منه، وعن عمرَ، وصهيبٍ، والسيدةِ عائشةَ، وروَى عنه من الصحابةِ معاويةُ وأبو هريرةَ وابنُ عباسٍ، وعطاءُ بن أبي رباحٍ وغيرُه من التابعين. وقد أثنى عليه العلماءُ، وكان قبلَ إسلامه يهوديًّا عالماً بكتبهم وثقافتِهم، حتى قيل له: كعبٌ الحبرُ، وكعبُ الأحبارِ.

ويمكن تقسيمُ الإسرائيلياتِ إلى ثلاثةِ أقسامٍ لا حجةَ في ذكرِ أيٍّ منها:

فمنها: ما علِمنا صحته بشرعنا، فما جاء به شرعُنا أولَى بالذكر.

ومنها: ما علِمنا كذبَه لكونه خالفَ ما عندنا، فلا يجوزُ ذكره.

ومنها: ما هو مسكوتٌ عنه، فلا نكذِّبه ولا نصدِّقه، وتَجوزُ حكايتُه، لكنْ لا فائدةَ فيه تعودُ على الدِّين، وإنما لجأ إليه كثيرٌ من المفسِّرين لملءِ الفراغاتِ التي يتركُها القرآنُ في القصص بأسلوبِه المعجِز المترفِّع عن إيرادِ التفصيلات التي لا لزومَ لها، بل قد تشتِّت الذهنَ وتصرفُ عن العبرة التي سِيقت القصة لأجلها.

وينبغي الاعترافُ أنَّ هذا التفسيرَ من التفاسيرِ التي وقع فيها ذكرُ الكثير من الإسرائيليات، وغالبُه نسبه المؤلِّف رحمه الله لوهبِ بن منبِّهٍ، وبعضُه عن كعبِ الأحبار.

ويجب التنبيهُ هنا إلى ملاحظة مهمة أشار إليها أبو شهبة رحمه الله، وهي أن مَن أورد الإسرائيليات وعزاها لكعبِ الأحبارِ أو وهبِ بن منبِّهٍ أو عبدِ الله بن سلام وأضرابهم، فإنه قد دلَّ بعزوِها إليهم أنها مما حملوه وتلقَّوه عن كتبِهم ورؤسائهم قبل إسلامهم، ثم لم يَزالوا يذكرونه بعد إسلامهم، وأنها ليستْ مما تلقَّوه عن النبيِّ

أو الصحابةِ، فكانت نسبتُها إليهم تشير إلى مصدرها، ومن أين جاءت، وأن الرواية الإسلامية بريئة منها[1].

قلتُ: ولعل هذا يفسِّرُ كونَ بعضِ هذه الأخبار قد رُويت في كتبٍ تُنسبُ لأئمةٍ كبارٍ من أهل الحديث عُرف عنهم التحرِّي في الأخبار، ككتاب «الزهد» للإمام أحمد، و«تفسير الطبري»، و«تفسير ابن أبي حاتم»، فقد رُوي فيها بعضُ أخبارِ وهبٍ التي لا غبارَ على أنها مما أخذه عن الإسرائيليات، كقصةِ أيوبَ التي وردت عند الطبريِّ في أكثرِ من عشر صفحات، ولم يتعقَّبها بشيءٍ، وكقصةِ موسى التي وردت أيضاً مطوَّلةً في «الزهد» للإمام أحمدَ، وسيأتي العزوُ لهذين المصدرينِ في الكتاب في مواضعه إن شاء الله، فما أورده المؤلف كذلك منسوباً لمَن ذكرْنا لا يَحطُّ من قيمةِ الكتاب كما لم يحطَّ ذلك من تلك الكتب، نعم قد يكونُ في الإكثار منها ما يؤخذ عليه.

وتبقى الطامَّة في الكثيرِ من الإسرائيليَّاتِ الذي جاء موقوفاً على الصَّحابة، ومنسوباً إليهم رضي الله عنهم، فيظنُّ مَن لا يعلمُ حقيقةَ الأمر، ومَن ليس مِن أهل العلمِ بالحديث، أنها متلقَّاةٌ عن النبيِّ ﷺ؛ لأنَّها من الأمورِ التي لا مجالَ للرأي فيها.

وأمَّا الطامَّةُ الأكبرُ والأعظمُ والأخطرُ فهي أن بعض الزنادقة والوضَّاعين وضعفاءِ الإيمانِ قد رفَعوا هذه الإسرائيلياتِ إلى المعصومِ ﷺ، ونَسبوها إليه صراحةً، وهنا يكون الضررُ الفاحشُ والجنايةُ الكبرى على الإسلام، والتجنِّي الآثمُ على النبيِّ ﷺ؛ فإنَّ نسبة الغلط أو الخطأ أو الكذبِ إلى الراوي أيًّا كان أهونُ بكثيرٍ من نسبة ذلك إلى النبيِّ ﷺ[2].

---

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ٩٤).

(٢) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لمحمد أبو شهبة (ص: ٩٤ ـ ٩٥).

فهذه مقدِّمةٌ لا بدَّ منها قبلَ الخوضِ فيما ورد في هذا الكتابِ من الأخبارِ التي لا شكَّ أن كثيراً منها هو من خرافاتِ بني إسرائيلَ وأباطيلِهم، فالمؤلِّفُ رحمه الله مثلُ عامَّةِ المفسِّرين لم يتوانَ عن إيراد الإسرائيليات التي يراها مناسبةً للموضع، ولو كان واضحاً أنها كذلك؛ كما في إيراده قصةَ خلقِ آدمَ وأكلِهِ من الشجرةِ نقلاً عن وهبِ بن منبِّهٍ، وقد صرَّح مكيٌّ بأن ذلك الخبرَ مما أخذَه وهبٌ عن أهلِ الكتاب.

ومن ذلك ممَّا يوازي الإسرائيلياتِ في الخرافة بل يفوقُها قصةُ النمرودِ التي رواها المؤلِّفُ بالسند المتَّصل إلى الراوي، وهو دِهقانٌ أسلمَ على زمنِ عُمر، وهي قصةٌ طويلةٌ مليئةٌ بالعجائب والغرائبِ والأساطيرِ التي لا تقبلُها العقول.

ـ ومن أمثلةِ ما نقله المؤلفُ من الإسرائيليات: ما جاء عندَ قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، فقد ذكر خبراً عجيباً غريباً لا تقبلُه عقولٌ ولا تتَّسعُ له الأفهام، فقال: وقال وَهْبٌ: صار أعظمَ ثعبانٍ نظرَ إليه الناظرون، أسودَ مدلهمًّا يدبُّ على قوائمَ غلاظٍ قِصَارٍ شدادٍ في مثلِ بدنِ البُختيِّ العظيم، إلا أنه أطولُ منه بدناً وعنقًا ومشفرًا، وإن له ذنَبًا طويلًا غليظًا يقوم عليه فيُشرف على حيطان المدينة برأسه وعُنقه، ثم يقع على الأرض فلا يأتي على شيءٍ إلا حطَمه، وخدَش بقوائمه الصخرَ والرُّخامَ والحيطانَ والبيوت، حتى يرمي بعضَها على بعضٍ، يتنفَّسُ في البيوت والخزائن فيَشتعِلُ كلُّ شيءٍ منها نارًا، وله عينان تتوقَّدان نارًا، ومَنْخِران يخرج منهما الدُّخان، وقد صار له المحجَن عُرفًا على ظهره، وشعورًا سودًا غلاظًا مثلَ الرِّماح الطِّوال لا يُصيب منها شيئًا إلا قطَعه، وقد جُعلت الشعبتانِ له فمًا مثلَ القَليب الواسع يخرجُ منه رياحُ السَّموم لا يُصيب أحدًا منه نفخةٌ إلا صار أسودَ مثلَ الليل المظلِم، في فيه أضراسٌ وأنيابٌ، في أعلى شدقِه اثنانِ وسبعون ضرسًا، وفي أسفلِهِ مثلُ ذلك، له صريرٌ يَصمُّ مَن سمعه، ما يسمعُ الرجل كلامَ جليسه إذا ضربَ

أضراسَه بعضَها على بعضٍ، وإنه ليَهدر مثلَ البعير يتزبَّد شدقاه زبَدًا أبيضَ، يَتطاير لعابه فلا يقع منه قطرةٌ على أحدٍ إلا اشتعل برَصاً، فأدخلَ الثعبانُ أحدَ شدقيهِ تحت سريرِ فرعونَ والآخَرَ فوقه وفرعونُ ـ لعنه الله ـ على سريره، فسَلَح في ثيابه، فلمَّا عاين الناسُ ذلك من أمر الثعبان ـ وكان قد اجتمع أهلُ المدينة بأسرهم ـ انهزموا وولَّوا ذاهبين، وتزاحَموا في الأبواب، وتضاغَطوا ووطئَ بعضهم بعضًا، فمات يومئذ خمسٌ وعشرون ألفًا، فقام فرعونُ اللعينُ فوقع عن سريره، وكان الله تعالى قد أملَى له حتى كان يمكثُ أربعينَ يومًا لا يَخرجُ من بطنه شيءٌ، ولا يُحدِث إلا في كلِّ أربعين يومًا مرةً، فلمَّا كان يومئذٍ أحدَثَ في ثيابه حتى علِم به جلساؤه، وكان يأكلُ ويشرب جاهدًا، ولا يَبصقُ ولا يَتمخَّط لا يتنخَّعُ ولا تَذرُف عيناه، ولا يمرضُ ولا يصدعُ ولا يَسقمُ ولا يَهرمُ ولا يَفتقِر، شابَّ السنِّ، فكان على هذا أربعَ مئة سنةٍ، فلمَّا كان يومئذٍ أحدثَ وبصق وامتخَط وأخذَه المرضُ والصُّداع واختلف بطنُه أربعين مرةً، فلم يزل بعد ذلك يختلفُ حتى مات عليه.

هذا الخبرُ رواه ابنُ عساكرَ في «تاريخه»، وهو مع ما فيه من المبالغاتِ التي لا يقبلُها العقل، فيه مخالفةٌ لِمَا جاء به الشرعُ، فهذا الحيوان بوصفه المذكورِ في هذه القصةِ يخالفُ نصَّ القرآن الذي جاء فيه أنه حيةٌ تسعى، وأنه ثعبانٌ مُبين، وهذا المذكور لا يُشبه الحيةَ ولا الثعبانَ، ولا حتى غيرَهما من الحيوانات التي نعرفُها أو نتخيَّلُها، ثم مَن الذي استطاعَ أن يَثبُتَ في ذلك الموقفِ الرهيبِ الغريبِ العجيبِ ليَعدَّ أضراسَه التي في شِدقهِ الأعلى أنَّها اثنان وسبعون، وإن تسنَّى له ذلك واستطاعَه فكيف عرَف عددَ تلك التي في شِدقه الأسفلِ؟! وكيف هي الوسيلةُ التي عرَف بها جلساءُ فرعون أنه أحدَث؟ أو مَن هو الذي كان بينَ جلسائهِ ونقَل لنا هذا الحدثَ؟

أم كيف عُرف كم اختلف بطنُ فرعون إذ ذاك؟ ومَن الذي كان يراقبه ويعدُّ ذلك الحدثَ عليه؟ فلا شكَّ أن هذا الخبر من أباطيل بني إسرائيل.

ـ ثم ذكر بعدَه المؤلفُ عن الحسن أنه قال: ولمَّا عاينَ ذلك قال: يا موسى، ارجع يومَك هذا وكفَّ ثعبانَك هذا، قاله سرًّا دون أصحابه، وقال لأصحابه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وقال له: يا موسى، ألَا رَفَقْتَ بالأمر، قتلتَ خمسة وعشرين ألفًا، بهذا أمرك ربُّك الذي بعثك؟ قال: يا فرعونُ، أنت فعلتَ هذا، يا فرعونُ أسألُك واحدةً وأعطيك أربعًا، قال: وما الَّذي تسألني؟ قال: أسألُك أن تعبدَ الله وحده ولا تشركَ به شيئًا، وأعطيك الشبابَ لا تهرم، والملكَ لا ينازعك فيه أحد، والصحةَ لا تَسقم، والجنةَ خالدًا، فخضع له فرعون وقال: حتى أستأمرَ آسيَةَ بنتَ مزاحمٍ، فدخل عليها فقال لها: يا آسيةُ، ألَا تَرَيْن إلى موسى إلى ما يَدْعوني وما يعطيني؟ قالت: وما هو؟ قال: يدعوني إلى أنْ أعبدَ الله ولا أشركَ به شيئًا، وأنَّ لي الشبابَ لا أهرمُ، والملكَ لا ينازعُني فيه أحد، والصحةَ لا أسقمُ، والجنةَ خالدًا، قالت: يا فرعون، وهل رأيتَ أحدًا يصيب هذا فيَدعَه؟ قال: فخرج فدعا هامانَ ـ قال الحسن رحمه الله: وكان لا يُعرف له نسبٌ ـ فذكر له ذلك واستشاره، فقال له هامان: أتَعبدُ بعد إذ كنتَ تُعبد؟! فبدا له وذكرَ أمرَ الشيب، فقال: أنا أردُّك شابًّا، فخضَبه بالسواد، وهو أولُ مَن خضب بالسَّواد، فدخل على آسية، وقال: يا آسية، ألَا تَريني صرتُ شابًا؟ قالت: مَن فعل هذا بك؟ قال: هامان، قالت: ذاك إن لم يَنْصَلُ.

وهذا أيضاً رواه ابنُ عساكر في «تاريخه»، وليس هذا بأحسنَ من سابِقِه، ولا شكَّ أنه مكذوبٌ على الحسن، ومَن وضعه كذابٌ خبيث، فقد رواه ابن عساكر من طريق إسحاقَ بنِ بشرٍ عن يزيدَ بنِ إبراهيمَ عنه، وإسحاقُ بن بشرٍ هو صاحب كتاب

«المبتدأ» كذَّبه عليُّ بنُ المدينيِّ، وقال الدارقطنيُّ: كذَّابٌ متروك. وقال ابن حبَّان: لا يحلُّ كَتْبُ حديثه إلا على جهةِ التعجُّب[1].

كما أن قولَ فرعون: قتلتَ خمسةً وعشرين ألفًا، ظاهر أنه مبنيٌّ على الخبر السابق وتابعٌ له، والسابق رواه ابن عساكر من طريق إسحاق عن إدريس عن وهب، ولعله مكذوب على وهب أيضاً، فإسحاقُ هو ابنُ بشرٍ، وقد ذكرنا حاله، وإدريسُ هو ابنُ سنانٍ سبطُ وهبِ بن منبِّه، قال عنه الدارقطني: متروك[2].

ثم كيف يُتصوَّر أن يدعوَ موسى فرعونَ إلى الإيمان بالله على أساسِ تلك المرغِّبات التي يخالفُ بعضُها سنةَ الله في عباده، فمَن ذا الذي يعطَى الشبابَ بلا هرَم، والصحةَ بلا سقم؟! وأيُّ إيمان هذا الذي يُبْنى على زهرةِ الحياة الدنيا التي هي فتنةٌ للكفار وليست طريقاً للإيمان بالله سبحانه؟ كما قال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١]، فأيُّ ميزةٍ لفرعون حتى يكونَ ما جُعل فتنةً لغيرِه سبيلاً له إلى الإيمان؟ علماً أن هذا التمتيعَ الذي في الآيةِ هو أقلُّ بكثيرٍ مما وعَد به موسى فرعونَ في هذا الخبر.

وإنما قلتُ: إن واضعَها كذابٌ خبيث؛ لأنه ضمَّن الخبر آيةً من القرآن لإيهام رفعِها، وقد تقدَّم بيان ذلك، ومن الأمثلةِ عليه أيضاً ما ذكره المؤلفُ في الآية نفسها عن قتادةَ، حيث قال:

وقال قتادةُ: لمَّا أخذ موسى الألواحَ قال: يا ربّ، إنِّي أجدُ في التوراة ـ أي: الألواح ـ أمَّةً هي خيرُ الأمم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر،

---

(١) انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ١٩٢).

(٢) انظر: «ميزان الاعتدال» (١/ ١٨٠).

فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمةُ محمدٍ ﷺ، فقال: يا ربّ، إنِّي أجد في التوراة أمةً سمَّيتَهم المتقين وسمَّيتهم عابدين وصالحين؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا ربّ، إنِّي أجد في التوراة أمةً هم الآخِرون السابقون يومَ القيامة؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا ربّ، إنِّي أجدُ في التوراة أمةً يأخذون صدقاتها فيأكلونها في بطونهم فيؤجَرون عليها؟ قال: هم أمة محمد، قال يا ربّ، إني أجد في التوراة أمةً هم المستجيبون والمستجابُ لهم؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا رب، إني أجد في التوراة أمةً يقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتِلوا الدجَّال؟ قال: هم أمة محمد، قال: يا ربّ، إني أجد في التوراة أمةً أناجيلُهم في صدورهم؟ فقال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمةً الجنةُ محرَّمةٌ على الأنبياء حتى يدخلَها نبيُّهم، وعلى الأمم حتى تدخلها أمَّتُه؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمةً غَفرْتَ لهم قبل أن يَستغفروك، وأعطيتَهم قبل أن يسألوك؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجد في التوراة أمةً رضُوا عنك باليسير من الرزق ورضيتَ عنهم باليسير من العمل؟ قال: هم أمة محمد، قال: إني أجدُ في التوراة أمةً هم الشافعون والمشفوعُ لهم؟ قال: هم أمة محمد، قال: فاجعلهم أمتي، قال: إنك لن تدركهم، فقال موسى: الوفدُ وفدي والحياءُ لأمة محمد، فاجعلني من أمة محمد، فقال الله تعالى: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ الآية، فرضي، وزِيدَ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

قال أبو شهبةَ: إن آثارَ الوضعِ والاختلاقِ باديةٌ عليه، والسندُ مطعونٌ فيه، وهي أمور مأخوذةٌ من القرآن والأحاديث، ثم صِيغت هذه الصياغةَ الدقيقة، وجُعلتْ على لسانِ موسى عليه السلام.

ثم نقَل عن ابن كثيرٍ قوله: وروَى ابن جرير عن قتادةَ في هذا قولاً غريباً لا يصحُّ إسناده إلى حكاية قتادة، وقد ردَّه ابنُ عطية وغيرُ واحدٍ من العلماء، وهو جديرٌ بالرَّدِّ، وكأنه تلقَّاه قتادةُ عن بعضِ أهل الكتاب، وفيهم كذَّابون ووضَّاعون، وأفَّاكون وزنادقةٌ.

قال: وصدَق ابنُ كثير فيما قال، وأرجِّحُ أن يكون من وضعِ زنادقتهم كي يُظهِروا الأنبياء بمظهَر المتحاسِدِينَ، لا بمظهرِ الإخوان المتحابِّين...

قال: ومما يؤيِّد أنه من وضع الإسرائيليين الدُّهاة أن نحواً من هذا المرويِّ عن قتادة قد رواه الثعلبيُّ وتلميذُه البغويُّ عن كعبِ الأحبار، ولا خلافَ إلا في تقديم بعض الفضائل وتأخيرِ البعض الآخر[1].

فهذا مجملُ ما لاحَ لنا في استبيانِ منهجِ المؤلِّفِ في هذا السِّفرِ الكبيرِ، وهو بحاجةٍ إلى إفرادِ دراساتٍ أكاديميَّةٍ علميَّةٍ عنه، لعلَّ اللهَ ييسِّرُ ـ بعدَ أن منَّ علينا بإخراجِهِ للنُّورِ ـ مَن يقومُ عليهِ من الطلبةِ والباحثينَ بالدراساتِ اللائقةِ به في قادمِ الأيامِ. والله الموفِّق.

***

(١) انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (ص: ٢٠٥).

سادساً: وصف النسخ الخطية

تمَّ الاعتمادُ في تحقيق هذا الكتابِ على ثلاثِ نسخٍ خطيةٍ، تكامَلت مع بعضها لإخراج النصِّ على أقربِ صورةٍ أرادها مؤلِّفُها إن شاء الله تعالى.

النسخة الأولى:

نسخة مكتبة (أيا صوفيا) التابعة إلى المكتبة السليمانية في إسطنبول، وهي مكوَّنة من مجلدين برقم (٩٦) (٩٦)، يقع المجلد الأول منها في (٣٧٩) ورقة، والمجلد الثاني في (٣٩٢) ورقة، وفي كلِّ ورقةٍ وجهان، وفي الوجه (٣١) سطراً تقريباً، تمَّ الفراغُ من نسخِ المجلَّدِ الأولِ عامَ (٩٦٩هـ)، والثاني عام (٩٧٣هـ)، وهي أتقنُ النسخ وأدقُّها، تميَّزت بوضوحِ الخط، وقلةِ التصحيفات والسُّقوط، ولُوِّنت الآياتُ فيها بالمداد الأحمر.

وتم الرمز لهذه النسخة بالرمز (أ).

النسخة الثانية:

نسخةُ مكتبةِ (فيض الله أفندي) في إسطنبول برقم (٨٨)، تقعُ في مجلدٍ واحد في (٤١٧) ورقة، في كلِّ ورقةٍ وجهان من القَطْع الكبير، وفي الوجه (٦٣) سطراً تقريباً، وهي نسخةٌ جيدةٌ واضحةُ الخط، اختصَّت بترجمةِ العبارات الفارسيةِ التي أوردها المصنِّف إلى العربية، وبضبطِ بعض الكلمات المشكِلة، إلا أنه كثُر فيها السقوط، وفي آخرِها نظمٌ للإمام نجم الدين النسفي بعد فراغه من تصنيفه، كُتبت النسخة في الثاني والعشرين من جمادى الآخر سنة (٨٦٠هـ).

وتم الرمز لهذه النسخة بالرمز (ف).

النسخة الثالثة:

نسخةُ مكتبة (راغب باشا) التابعةِ إلى المكتبةِ السليمانيَّة في إسطنبول، برقم (٩٩)، تقعُ في مجلدٍ واحدٍ في (٦٠٩) ورقات، وفي كلِّ ورقةٍ وجهان، وفي الوجه (٤٤) سطراً تقريباً، ليس فيها ذكرٌ لاسمِ الناسخ أو تاريخِ النسخ، وهي نسخةٌ جيدة فيها بعضُ التصحيفات، وفي آخرها النظمُ نفسُه الذي تقدَّم في النسخة السابقة.

وتم الرمز لهذه النسخة بالرمز (ر).

***

سابعاً: عملنا في الكتاب

وأخيراً فإننا لم ندَّخر وسعاً في تحقيقِ هذا الكتابِ وإخراجِه على الوجهِ اللائق به، ونسألُ الله سبحانه أن نكونَ قد وفِّقنا في مسعانا، وقد تلخَّص عملُنا فيه بما يلي:

١ ـ تمَّ تحقيقُ الكتابِ على عددٍ من النسخِ الخطيةِ النفيسة التي تقدَّم وصفُها آنفاً، وقد قمنا بنسخه من النسخة الخطية لمكتبة راغب باشا المرموز لها بـ(ر) وقابلنا الكتاب عليها، ثم قمنا بمقابلته على النسختين الأخريين لمكتبتي أيا صوفيا (أ) وفيض الله أفندي (ف)، وقد حرصنا على إثباتِ الصوابِ أو الأنسبِ بسياقِ الكلام، مع الإشارةِ إلى فروق النسخ الخطية، وإهمالِ الفروق التي التحريفُ فيها ظاهرٌ ولا فائدةَ في إثباتها بل تُثقل الحواشيَ بلا داعٍ. ولا يستغربنَّ مُطالعُ هذا التفسير كثرة فروق النُّسخ الخطية التي فيه فقد كانت أضعافَ ما هي عليه في ثوبها الأخير، وبذلنا جهدنا في الاقتصار والاقتصاد في إثبات الفروق.

٢ ـ ضبطُ النصِّ وتفصيلُه وترقيمُه بعلاماتِ الترقيم المناسبة التي تُساعد على فهمه، مع العنايةِ بضبط المُشْكِل.

٣ ـ الحرصُ على أن يكونَ النصُّ صحيحاً سالماً من الأخطاء والتحريفات والسُّقوطات، ومن ذلك مقابلتُه على المراجع التي اعتادَ المؤلفُ النقلَ منها، والاستفادةُ من ذلك في تصحيحِ التحريف، واستدراكِ الساقط بين معكوفتين، وشرحِ المبهَم، والتنبيهِ على الخطأ، وغير ذلك.

٤ ـ تخريجُ جميع الأحاديث المرفوعةِ من مصادر التخريج مقتصِرين على الصحيحين أو أحدِهما إن وجد فيه الحديث، وإلا فمِن باقي الكتبِ السِّتة و«مسند

الإمام أحمد»، فإنْ لم يُوجد الحديثُ فيها فمِن باقي كتب التخريج، مع شرحِ ما فيها من غريبٍ، وبيانِ علةٍ إن وُجدت.

٥ ـ تخريجُ الأخبار والآثار وأسبابِ النزول الواردةِ فيه من كتبِ التخريج والتفسير وأسباب النزول.

٦ ـ تخريجُ الشواهد الشعرية وغيرِها من كتب دواوين الشعر، فإن تعذَّر فمِن باقي كتب الأدب المعتمَدة، مع شرح الغريب إنْ وُجد.

٧ ـ توثيقُ ما ينقله المصنفُ من مصادره مع مقابلته على ما جاء في تلك المصادر لضمان صحة النص، وبيان الاختلاف إنْ وجد وكان وجيهاً.

٨ ـ تعقُّبُ المصنف إنْ وقع خطأٌ أو سهوٌ أو سبقُ قلم، والتعليقُ في المواضع التي تحتاج إلى تعليق.

٩ ـ كتابةُ مقدمةٍ للكتاب تتضمنُ بيانَ موقعِ هذا التفسير وأهمَّ المراجع التي نهل منها، مع ترجمة المؤلف ترجمةً وافية، كما قُمنا بدراسةٍ مستفيضة لخصائص هذا التفسير ولمنهج المؤلف فيه.

١٠ ـ تذييل الكتاب بالفهارس العلمية المناسبة.

والحمد لله رب العالمين،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

***

صور المخطوطات

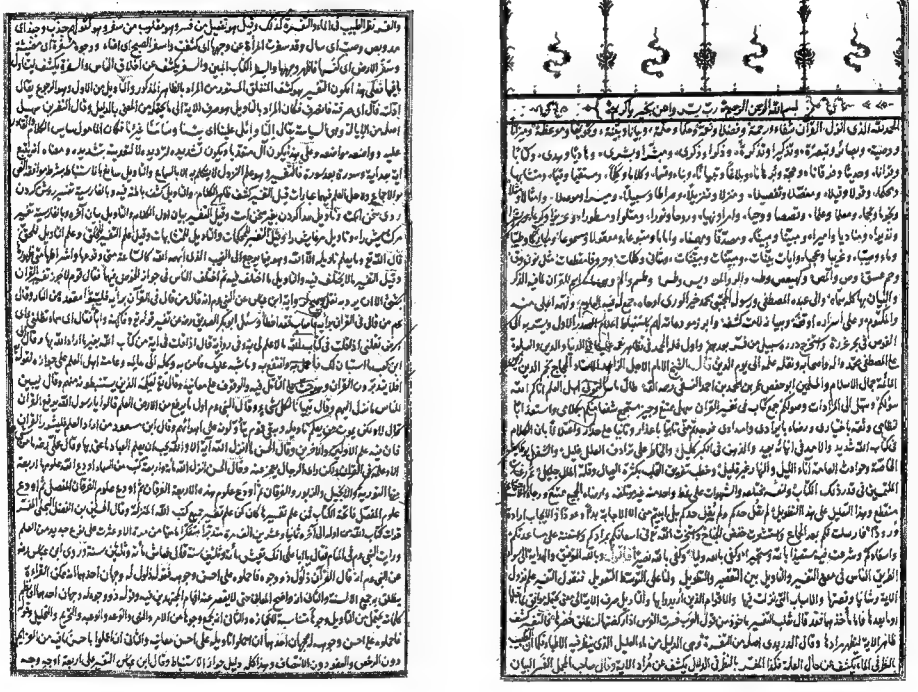

صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية لمكتبة أيا صوفيا والمرموز لها بـ (أ)

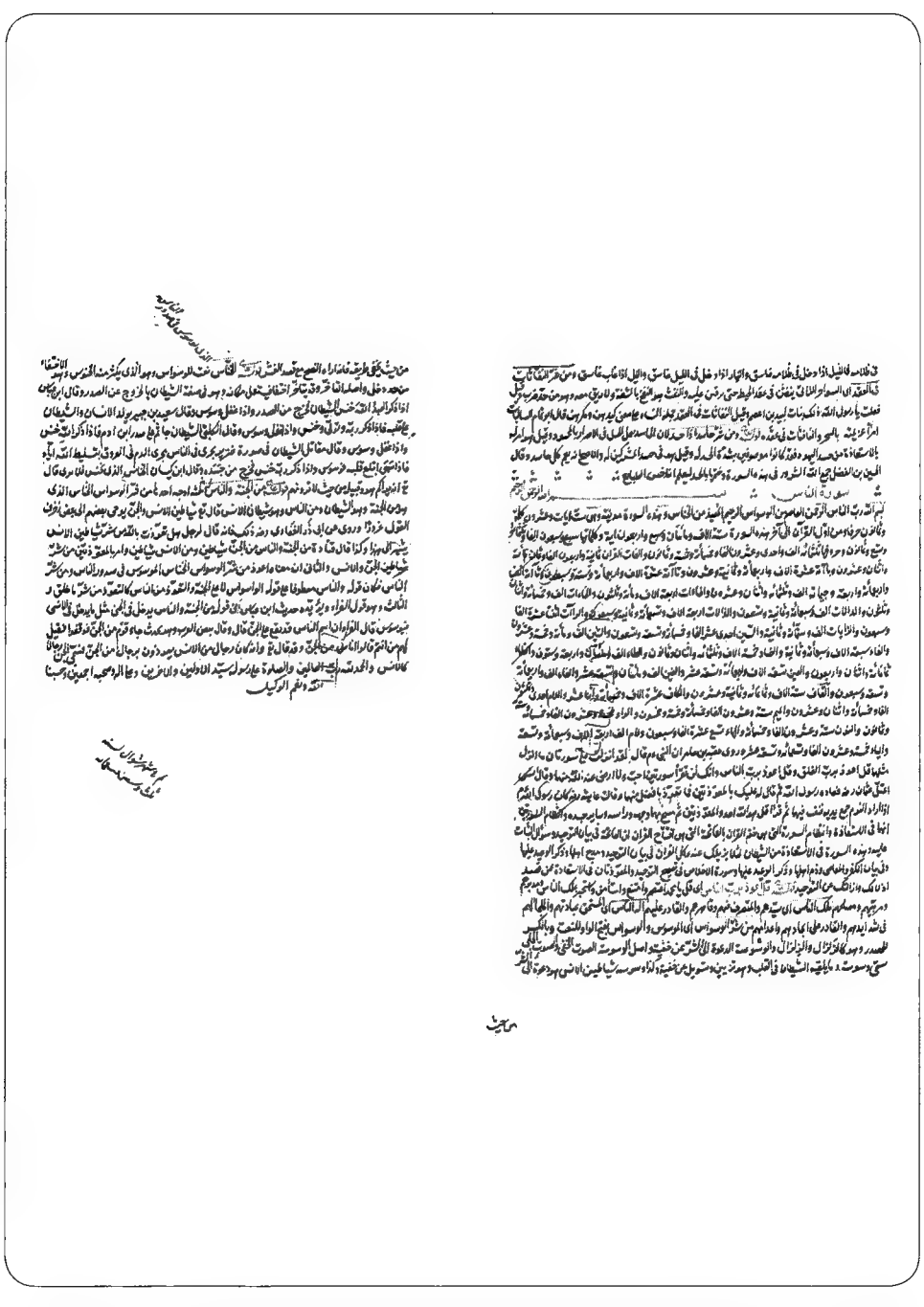

صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية لمكتبة أيا صوفيا والمرموز لها بـ (أ)

صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية لمكتبة راغب باشا والمرموز لها بـ (ر)

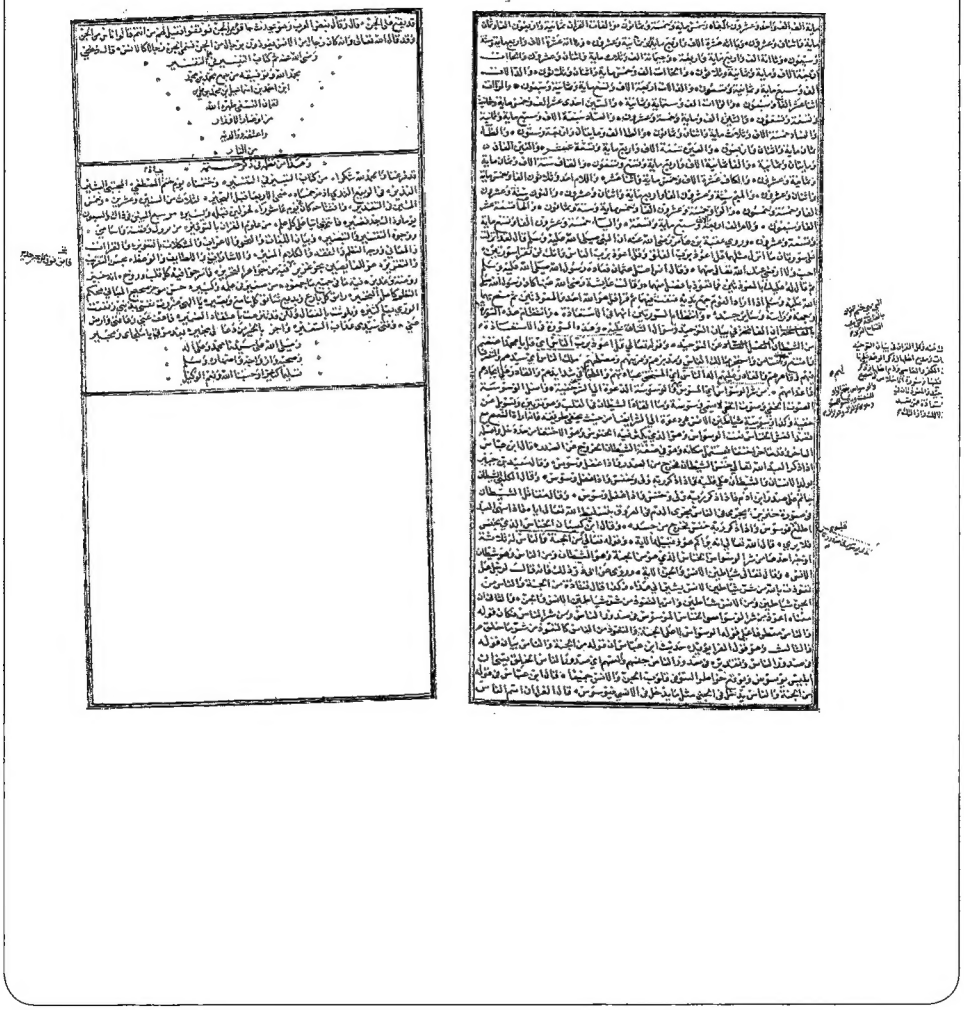

صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية لمكتبة راغب باشا والمرموز لها بـ (ر)

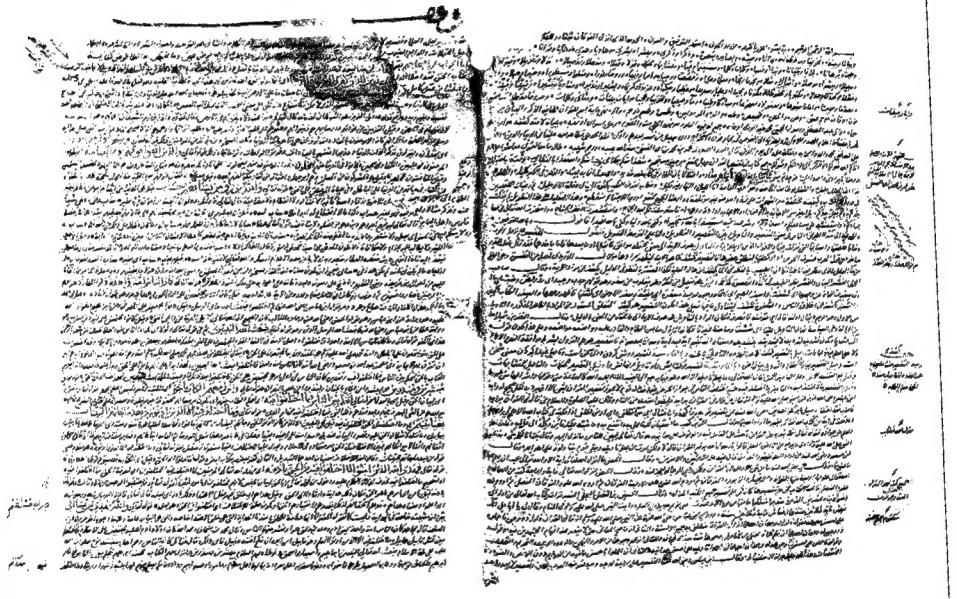

صورة اللوحة الأولى من النسخة الخطية لمكتبة فيض الله والمرموز لها بـ (ف)

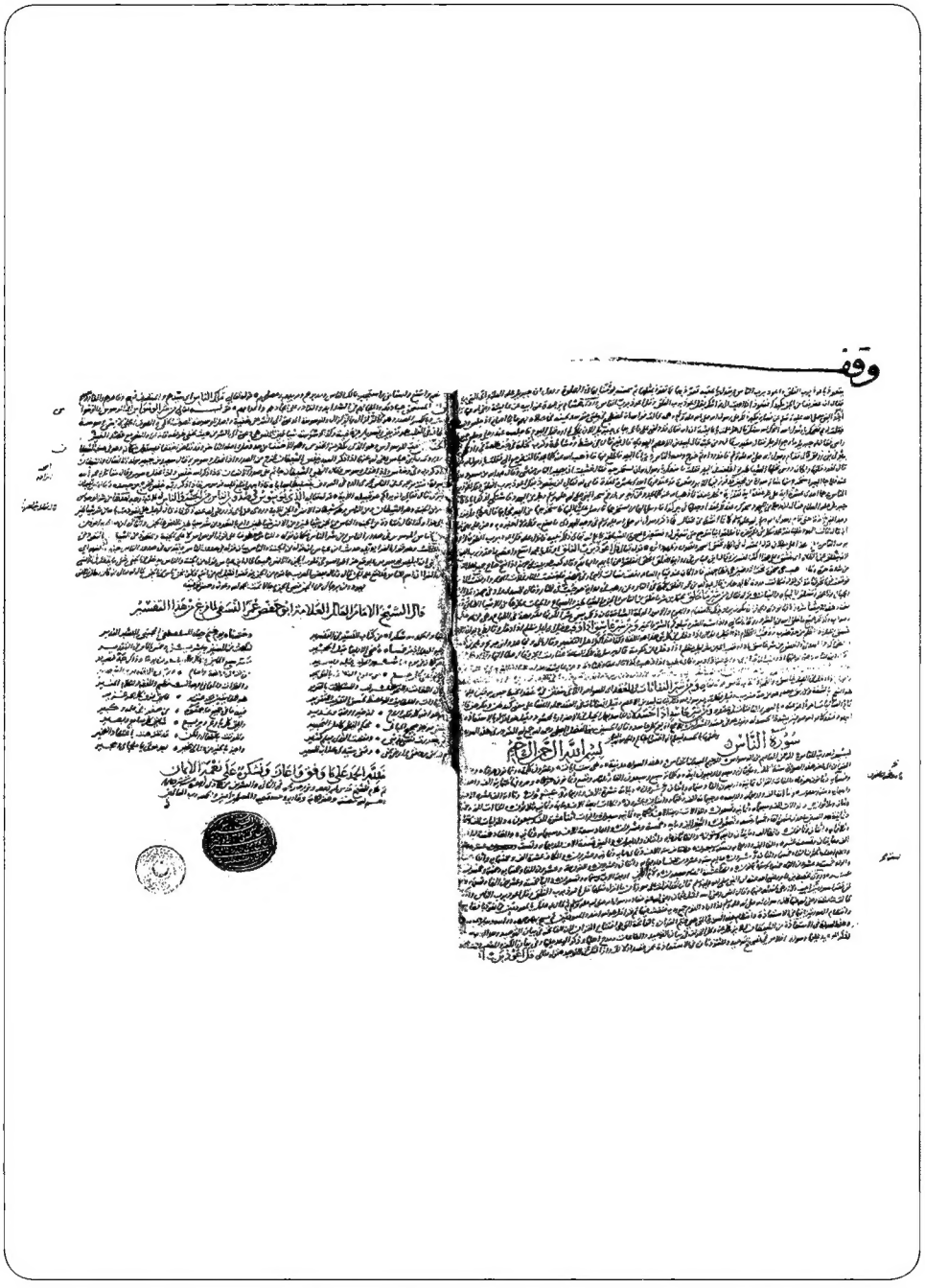
وقف

صورة اللوحة الأخيرة من النسخة الخطية لمكتبة فيض الله والمرموز لها بـ (ف)